

## المبحث الأول

### عصره

#### المطلب الأول: الحياة السياسية:

بدأت الحياة العباسية قوية و متماسكة، فقد استطاعت بجيوشها القادمة من خراسان أن تدك جميع معاقل الدولة الأموية وتقويضها وتنتزع منها الخلافة قسراً وذلك عام 132هـ، وقد اعتمد العباسيون في كل ما فعلوه على العنصر الفارسي الذي شكل سندا قويا للدولة فكانت أكثر القيادات العسكرية والسياسية والإدارية منه، ومن حين إلى آخر كان العباسيون يتوحشون خيفة منذ هذا العصر فيبادرون لإضعافه وتقليم أظافره، فقد قام أبو جعفر المنصور (136هـ - 158هـ) بقتل أبي مسلم الخرساني قائد جيوش العباسيين ومؤسس دولتهم عام 137هـ منها رأى بوادى عليه<sup>(1)</sup> كما نكب هارون الرشيد (170هـ - 193هـ) البرامكة عام 186هـ تلك المشهورة حين رأى تسلطهم وتغولهم على الحياة الاجتماعية وتعاليمهم على العنصر العربي.<sup>(2)</sup>

وقد زاد النفوذ الفارسي قوة أيام فتنة الأمين والمأمون عندما وافق الخراسانيون بجانب المأمون وساعده في حربه ضد أخيه الأمين وتمكنوا من انتزاع الخلافة منه بعد حروب كثيرة انتهت بمقتله. أما العنصر العربي نفسه بعيداً عن إدارة الدولة بسبب اعتماد العباسيين على الفرس وتمكنهم في شتى مجالات الإدارة وبهذا رفض كثير من العرب خلافة العباسيين وثاروا ضدها في أشكال متعددة فطائفة منهم وقفت مع العلويين الذين يطالبون بتحويل الخلافة من البيت العباسي إلى البيت العلوي وطائفة أخرى وقفت مع الخوارج فأطراف الدولة البعيدة يقاتلون الدولة باستمرار.

ولما آلت الخلافة للمعتصم (218 - 227هـ) رأى أن يستبدل العنصرين الفارسي والعربي بعنصر آخر فلجأ إلى جلب الأتراك ومكنهم عسكرياً مما كان له أسوأ الأثر على مستقبل الدولة العباسية.

وبعد أن قوى الأتراك وتسلطوا على الحكم بدأت الدولة في التفكك والانقسام إلى دويلات صغيرة لا يجمعها بالخلافة إلا الاسم فقط، ففي عام 321هـ ظهرت دولة بني بويه في المشرق ثم توسع غرباً فملكوا بغداد من

(1) البداية والنهاية، أبي إسماعيل بن كثير القرشي، المتوفى 774هـ، دار الفكر، ط1، 1407هـ.

(2) الكامل في التاريخ، أبي الحسن بن الجذري، المتوفى 630هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1997م.

أيدي الخلفاء العباسيين وصار لهم فيها كما يقول ابن كثير القطع والفصل والولاية وإليهم تجنى الأموال ويرجع إليهم سائر الأموال والأحوال.<sup>(1)</sup>

ويصور لنا ابن دقماق نفوذ الدليم على الخلفاء واحتقارهم لهم فيقول في ترجمة الطائع لله (ثم أن خلع ورمي السرير) وذلك أن بها الدولة الديلمية تحتم له قصة فمد يديه ليأخذ القصة فجذبه من السرير ورماه ونصب الديلم دار الخلافة حتى قلعوا رخامها وأبوابها وخلع الطائع لله.<sup>(2)</sup>

وقد كان للوزراء دور كبير في فساد الدولة إذ كانوا يتآمرون على الخلفاء فيخلعونهم ويقتلونهم وقد تكرر منهم ذلك مراراً ويكفي لإبراز دورهم ومدى خطورتهم أنهم قاموا بخلع ثلاثة خلفاء هم: القاصر بالله والمتقي بالله والمكتفي بالله، قال ابن دقيمان: "واجتمع في بغداد ثلاثة خلفاء عميان بالحياة فلا حول ولا قوة إلا بالله".

هذا في المشرق أما في المغرب فقد كانت الأندلس مشتغلة عن الدولة العباسية لأنها كانت تحت قبضة الأمويين من أولاد عبد الرحمن الداخل، كما ظهر العبيديون المنتسبون إلى فاطمة الزهراء رضي الله عنها واستولوا على أفريقيا ومصر والمعز العبيدي صاحب مصر وذلك في خلافة الطائع لله.

ولهذا الضعف الذي أصاب الدولة العباسية وقطع أصولها ولعدم قدرة الخلفاء العباسيين على التصرف في شئون البلاد بسبب تسلط وزراء السوء عليهم فقد زاد نشاط الفرنجة العسكري فهاجموا بلاد المسلمون واستولوا على الساحل كله وأخذوا جميع ثغوره ودخلوا حلب وانتزعوها من يد سيف الدولة الحمداني عام 351هـ وذلك في خلافة الرازي بالله.

وفي أطراف الدولة كان الخوارج استولوا على كثير من الجهات وقطعوا الطريق إلى بغداد حتى لم يعد يصل إليها من الأقاليم، كان القرامطة قد استطاعوا أن يدخلوا إلى مكة يوم التروية عام 317هـ فقتلوا الحجاج ونهبوا باب الكعبة وحلّهم ثم أخذوا الحجر الأسود معهم إلى البحرين وقد ظل الحجر الأسود معهم نحو اثنين وعشرين عام، ولم يرجع مكانه في الحرم إلا عام 339هـ في خلافة المطيع لله.

وهكذا صارت الدولة العباسية نهباً ممزقاً ودويلات متناحرة وحروباً داخلية ولم يكن للخليفة العباسي سيطرة إلا على بغداد وحدها وفي ذلك يقول ابن خلدون "ولم يبق للخليفة إلا بغداد وأعمالها وأما باقي الأعمال فكانت:

- البصرة في ابن رائق.

(1) البداية والنهاية، ج11، ص: 184.

(2) الجوهر النمني في سر الملوك وسلاطين، صارم الدين إبراهيم دقماق، بيروت، الطبعة الأولى.

- وخوراشان والأهواز في يد ابن البديري.
- وفارس في يد عماد الدولة ابن بوية.
- وكرمان في يد علي بن إلياس.
- والرعي واصبهان والجبل في يد ركن الدولة ابن بويه، وكشمير أخو مراد أصبح ينازعه في هذه الأعمال.
- والموصل وديار بكر وربيعة ومضر في يد حمدان.
- ومصر والشام في يد ابن طفنج.
- والأندلس في يد عبد الرحمن بن الناصر من أولاد عبد الرحمن الداخل وما وراء النهر في يد بني سلمان، وطبرستان في يد الديلم والبحرين واليمامة في يد ابن الطاهر القرمطي.<sup>(1)</sup>

### نموذج شعري لقصيدة البحري في وصف إيوان كسري بالمدائن:

- لو تراه علمت أن الليالي \*\* جعلت فيه مأتماً بعد عرس
- وهو ينبك عن عجائب قوم \*\* لا يشاب البيان فيهم بلبس
- وإذا ما رأته صورة انطاكية \*\* أرتعت بين روم وفارس
- والمنايل موائل وأنوشتر \*\* وأن يزجي الصفوف تحت الدرفس
- في اخضرار من اللباس على اصفر \*\* يختال في ضيعة ورس
- وغراك الرجال بين يديه \*\* في خفوت منهم وأغماض جرس

### المطلب الثاني: الحياة الاجتماعية:

ذكرنا فيما مضى أن العصر الفارسي كان هو العنصر السائد خلال العصر جل الأمراء والوزراء والقواد منه، فليس غريباً أن يطغي هذا العنصر على الحياة الإدارية والعسكرية وأن يؤثر على المجتمع تأثيراً في شتى مجالاته.

ففي مجال اللغة استطاعت مفردات فارسية كثيرة أن تتسلل إلى الحرب كرامهم ومكاتباتهم مما حدا بعلماء اللغة إلى التنبيه عليها والتصدي لتعريبها إلى العربية وتعريفها وقد كثرت هذه المفردات بين الناس.

ولقد كان أثر الفرس واضحاً في أشكال البناء والمعمار وبدأ قصورهم ومنازلهم على نمط العمار الفارسي، فالعرب لم يعرفوا بهذا النوع من الرعاية.

(1) تاريخ ابن خلدون، بن محمد ابن خلدون ولي الدين الخضرومي الأشبيلي، المتوفى 808هـ، خليل شحاتة، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة، ج3، 1988م، ص: 298.

وقد أثر الفرس أيضاً في أنواع الملابس والأطعمة والآلات الحربية ووظاهرة المنشآت العامة كالمنتزهات والحمامات وغيرها.<sup>(1)</sup>

ومن آثار الفرس في الحياة الاجتماعية ظهور المضيفة بتلك النزعة ديانات الفرس القديمة فقد تحولن نزهة النهر الإسلامي إلى فلسفات وما في مضمونها من روح الشريعة الإسلامية، وإذا أردنا بعد هذه المقدمة التي بينا فيها أسر الفرس في مجتمع الدولة مكونات هذه المجتمع فسنجد في خمس طبقات:

الطبقة الأولى: طبقة الأمراء والوزراء والقواد، وقد كان أثر هذه الطبقة.

الطبقة الثانية: طبقة العلماء ورجال الفكر من الأدباء والشعراء والكتاب.

الطبقة الثالثة: طبقة الأثرياء من التجار.

الطبقة الرابعة: طبقة الزراع والجنود والمحترفين من أصحاب الصنائع.

الطبقة الخامسة: المعدنين.

هذه هي طبقات المجتمع في القرن الرابع الهجري وما بعده، ولا تكاد المجتمعات الإسلامية على مر العصور تختلف في تركيبها من هذه الطبقات لتشابه الظروف والأوضاع، ولكن الشيء الذي كان يختلف هو العنصر السائد في تلك المجتمعات من عرب وفرس وأتراك ومماليك وبرابرة وغيره ففي كل دولة هنالك عنصر أقوى من غيره.

وتبعاً هذه لهذه الطبقات التي ذكرناه قد كان الحياة الاجتماعية تختلف من طبقة إلى أخرى.

ففي القصور الخلفاء والوزراء وكبار القواد كانت مظاهر الترف والإسراف هي الغالبة على نمط الحياة فقد أدى توسيع الفتوح الإسلامية إلى ازدهار الحياة المادية بسبب تلك الأموال الكثيرة التي كانت تجني للدولة من الخراج والجزية وغيرها.

نموذج شعري لثناء البحتري أبي تمام:

قد زاد في كمدي وأضرم لوعتي \*\* مثوى حبيب يوم بان ودعبيل  
وبقاء ضرب الختعمي وصفه \*\* من كل مكودود تصريحه مبجل  
أهل المعاني المستحيلة إن هم \*\* طلبوا البراعة والكلام المقفل  
أخوى ألا تزل السماء مخيلاً \*\* تغشاكما بسماء منزن مسبل

ويقول في هجائه:

(1) القاموس المحيط، مجد الدين أبو الطاهر محمد بن أبيادي، المتوفى 817هـ، ط 8 ج 1، بيروت، لبنان، ص: 721. المارستان بفتح الراء: دار الدفن.

ما تجزع الشاة إذا شطحت \*\* من ألم الذبح ولا السلخ  
ولا من التفصيل منكوسة \*\* ولا من الشهي ولا الطبخ  
لكنها تجزع من خلة \*\* تقدح في الأحشاء بالمح  
تشفق أن يكتب في جدها \*\* شعرك يا ذا القرن والكشح

### المطلب الثالث: الحياة العلمية:

كان القرن الثالث الهجري من أعظم القرون الإسلامية بعد عصر الخلافة الراشدة ففي هذا القرن نضجت المعارف الإسلامية واستوت على موقفاً فكان من ثمار ذلك نشأة المذاهب الفقهية وتدوين السنة والتفسير واكتمال علم النحو والعربية وغيرها، وقد بلغت هذه النهضة العلمية ذروتها أيام المأمون العباسي الذي أسس بيت الحكمة واهتم بالترجمة ونقل علوم الأوائل إلى العربية، وقد كان القرن الرابع الهجري امتداداً طبيعياً لهذا القرن، فقد نشطت فيه الحركة العلمية نشاطاً كبيراً في كافة المجالات في الحديث والتفسير واللغة والتاريخ ولمعت أسماء كثيرة في سماء الأدب والشعر والفلسفة، وقد كان لتشجيع الخلفاء العلماء وكفايتهم أمور معاشهم أثره البالغ على دفع حركة التأليف إلى أبعد الغايات.

إن المعيار الذي تقاس به قوة الحركة العلمية في أي عصر هو معرفة رموز ذلك العصر من العلماء والوقوف على آثارهم ونتائجهم الفكري وبهذا يبدو مناسباً أن نسرد هنا طائفة من أبرز رموز القرن الرابع الهجري<sup>(1)</sup>، في المجالات العلمية المختلفة لنقف على المنزلة التي بلغها ذلك القرن من العلم والمعرفة ففي التفسير والقراءات:

الإمام ابن جديد الطبري<sup>(2)</sup>: هو أبو جعفر محمد بن جديد بن يزيد الطبري (222 - 311هـ)، حافظ ومفسر وفقه مؤرخ من كتبه: جامع البيان في التفسير، تاريخ الأمم والملوك وتهذيب الآثار، والإمام عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (220 - 327هـ)، محدث ومفسر وفقه ومؤرخ وأصولي من كتبه: التفسير والجرح، التعديل ومناقب الشافعي، وعلل الحديث والرد على الجهمية.

### وفي السنة وعلوم الحديث:

الإمام النسائي: وهو أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان النسائي (215 - 303هـ) من كبار المحدثين من كتبه: السنن الكبرى والصغرى، والضعفاء وخصائص علي ابن أبي طالب رضي الله عنه والحاكم

(1) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعلي أبي وزيد، ط2، ج12، بيروت، ص: 247.

(2) البداية والنهاية، ج11، ص: 202.

النيسابوري، وهو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن حمدوية بن نعيم النيسابوري المشهور بالحاكم (326 - 205هـ) حافظ ومؤرخ من كتبه المستدر على الصحيحين، ومعرفة علوم الحديث والتاريخ، وتاريخ نيسابور والإكليل.<sup>(1)</sup>

وفي الفقه والأصول:

الإمام أبو حامد الأسفرايين هو أبو حامد أحمد بن محمد بن أحمد الأسفراييني (322 - 204هـ) من كبار فقهاء الشافعية وإليه انتهت رئاسة المذهب بالعراق، من كتبه شرح المزني، وكتاب البستان.<sup>(2)</sup>

والإمام ابن بطة هو أبو عبيد الله بن محمد بن حمدان العكبري المعروف بان بطة فقيه وأصولي ومفسر من كتبه: السنن والمناسك والإبانة عن شريعة الفرقة الناجية.<sup>(3)</sup>

وفي علم الكلام والفلسفة:

الإمام الأشعري: هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم الأشعري البصري (270 - 330هـ) متكلم ومن كتبه اختلاف المصلين والرد على المحسمة والتبيين على أصول الدين.<sup>(4)</sup>

الفارسي: وهو أبو نصر محمد بن طرخان الفارابي فيلسوف وحكيم وموسيقي ورياضي من كتبه: أداء أهل المدينة والموسيقي الكبير وإحصاء العلوم.

وفي النحو والعربية:

أبو سعيد الحسن بن عبد الله المزريان السرافي (282 - 348هـ)، تحقيق نحوي ولغوي، من كتبه شرح سيبويه، الوقوف والابتداء، صناعة الشعراء، البلاغة.

وفي الشعر:

أبو الطيب المتنبّي: أحمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفي المعروف بالمتنبّي (303 - 352هـ) من أشعر شعراء العربي، له ديوان شعر متناول<sup>(5)</sup>، وأبو فراس الحمداني الحارس ابن سعيد ابن حمدون بن لقمان الحمداني (320 - 356هـ) شاعر وفارس وأديب، وهو ابن عم سيف الدولة الحمداني، له

(1) سير أعلام النبلاء، ج11، ص: 122.

(2) البداية والنهاية، ج11، ص: 382.

(3) سير أعلام النبلاء، ص: 193.

(4) المرجع نفسه، ج14، ص: 529.

(5) سير أعلام النبلاء، ج19، ص: 221.

ديوان شعر<sup>(1)</sup>، وجحظة البرمكي: هو أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن برمن المعروف بجحظة (222 - 324هـ) شاعر وكاتب وأديب له ديوان شعر كبير.<sup>(2)</sup>

وبديع الزمان الهمزاني: هو أبو الفضل أحمد الحسن بن سعيد المعروف ببديع الزمان الهمزاني (358 - 424هـ) شاعر وكاتب وأديب ومحدث، من كتبه: المقامات والرسائل وديوان شعر.<sup>(3)</sup>

نماذج من شعره:

ومأتم الأحساب كيف تقام	** انظر إلى العلماء كيف تضام
أسيافه دون الدوم قشام	** حطت سروج أبي سعيد وأغترت
للركب وجه ترحل فأقاموا	** خبرتني ركب الركاب فلم يدع
نعماً يقوم بشكرها الأقسام	** ولي وقد أولى الورى من جوده
هدأوا بأفواه الدروب وناموا	** لا تهني الروم استراحتهم فقد
في الترب ذاك الكر والأقدام	** أمنوا وما أمنوا الردى حتى ظوي
ويزم فيض الدمع وهو محام	** تستنصر الأكباد وهي قريحة
من ذاهبت تحية وسلام	** فعليك يا حلف الندى وعلى الندى

(1) المرجع نفسه، ج15، ص: 22.

(2) معجم الأدباء، ج12، ص: 221.

(3) الديوان، ج3، ص: 1940.

## المبحث الثاني

### حياته

المطلب الأول: اسمه، لقبه، كنيته، ولادته:

أ/ اسمه:

الوليد ب عبيد بن يحيى بن عبيد بحتري بن عثود بن طي. (1)

ب/ لقبه:

لقب الشاعر بألقاب كثيرة منها:

- الطائي: نسبة إلى طي أحد أجداده وهو جلهمة بن أدر. (2)

- الطائي الأصغر: للتمييز بينه وبين أبي تمام الذي لقب بالطائي

الأكبر. (3)

- البحتري: نسبة إلى بحتري أحد أجداده. (4)

- النابغة الثاني: يقول أبو هلال العسكري "لا أعرف أحداً من المحدثين

بلغ صلح النابغة الذبياني في الاعتذار إلا البحتري فإنه قد أجاد القول في

صنوفه وأحسن وأبلغ، ولم يزد لأحد مزيداً حتى قال بعضهم: هو في هذا

النابغة الثاني". (5)

- المنيجي: نسبة إلى منيج التي ولد فيها. (6)

ج/ كنيته:

يكنى شاعرنا بمجموعة من الكنى منها:

1/ أبو الحسن وهذه الكنية كانت الأولى قبل أن يتصل بالخليفة المتوكل

على الله (247هـ).

2/ أبو عبادة: يقال أنه كُني (أبا عبادة) المارزل العراق واتصل

بالمتوكل وعرف مذهبه ويقال إن المتوكل هو الذي كناه (أبا عبادة).

د/ ولادته:

(1) الأغاني، الأصفهاني، تحقيق: لجنة من الأدباء، ج3، دار الثقافة، بيروت، 1983م.

(2) وفيات الأعيان، ابن خلكان، تحقيق: د. إحسان عباس، ج6، دار صادر، ص: 21.

(3) الموازنة بين الطائيين، الحسن بن بشير الأمدى، المكتبة العلمية، بيروت.

(4) وفيات الأعيان، ج6، ص: 21.

(5) ديوان المعاني، أبو هلال العسكري، ج1، مكتبة القدس، القاهرة، ص: 910.

(6) معجم البلدان، ج5، ص: 206.



ولد البحتري في مدينة منيح سنة ست ومنتين (206هـ)، ومنيح هذه  
عرفت بكثرة الآبار، وهي عذبة صحيحة، طيبة الهواء كثيرة الأشجار  
وللبحتري أملاك فيها.

وقيل بها قرية تعرف بـ(الخامس) وهي ذات بساتين وكانت وقفاً على  
ولد البحتري.

وأما بحتري فكان لها موقع في نفسه، يعبر عن ذلك بقوله:

بنو بحتري قومي، ومن بك بحتري \*\* أباه في منتهى المجد والفخر  
أنا البحتري ابن البحتارة الألي \*\* هم غمروا الأيام بالنائل العمر

وقد ذهب بعض العلماء إلى القول أن البحتري ولد في قرية (برزقنة)  
وهي قرية من قرى منيح.

ويصف شاعرنا موطنه قائلاً:

غنت بشرق الأرض وغربها \*\* أجول في آفاقها وأسرها  
فلم أر مثل دار إقامة \*\* لراح تفاديها وكأس تديرها  
مصلحة أبدان ونزهة أعين \*\* ولهو نفوس دائم وسرورها  
مقدسة جار الربيع بلادها \*\* ففي كل دار روضة وغديرها

هـ/ حياته:

قلنا البحتري ولد في منيح على الأرجح سنة ست ومنتين (206هـ)،  
نشأ فيها وفي بدايتها وعلى الرغم من شهرته بعد نبوغه التي طارت في  
الآفاق، فإنه لم يسجل بداية حياته ولم يدون شيئاً من ثقافته، ولا عن أسرته ولم  
يترك لنا قصيدة توضح نشأته، وما ذكرته المصادر القديمة نذر بسيط لا يشبع  
فهم القارئ، ولا يرو ظمناً الباحث ذلك أن هذه المصادر تذكر أن البحتري كان  
قد نشأ في منيح وترعرع في باديتها على شيوخ قبائل بين طي.<sup>(1)</sup>

ويقول أستاذنا الدكتور شوقي ضيف: "أنه نشأ في أحضان عشيرته  
يتغذى من فصاحتها ويبدوا أنه اختلف مبكراً إلى الكتاب فحفظ القرآن، كما  
حفظ كثيراً من الأشعار والخطب ونسب إلى حلقات العلماء في المساجد يأخذ  
عنهم اللغة والنحو وشيئاً من الفقه والتفسير والحديث وعلم الكلام واستيقظت  
فيه موهبة الشعر مبكرة".<sup>(2)</sup>

ويبدو أن جده كان مؤذناً في مسجد، يقول في ذلك البحتري:

جدي الذي رفع الأذان بمنيح \*\* وأقام فيها قبلة الصلوات<sup>(3)</sup>

(1) ديوان البحتري، ج2، ص: 943.

(2) تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، د. شوقي ضيف، ط3، بيروت، 1404هـ، ص: 271.

(3) الديوان، ج1، ص: 366.

ولما ظهر نبوغه في الشعر أخذ يمارس هوايته، في بادي شبيهاً من بضاعتهم وأموالهم، ولا أعرف ما إذا كان يقوم بترويح بضاعتهم وأموالهم، ذلك أنه كان يمدح أصحاب النصل ويبدو أنه وجد في نفسه المقدرة على قول الشعر، الأمر الذي دفعه إلى التطلع إلى أماكن أكثر رحابة. من صحح السوقة وورع الإبل والبقر، تفتح أمامه أبواب العز والجمال والمكانة والشهرة، فغادر مدينته إلى حلب على غير حياة الفقر بالغني.

### حياته في حلب:

لما شب البحتري وأخذ من الثقافة العربية ما أخذ، وغذى بموهبته بعلوم شتى في حلقات العلماء في المساجد، ووجد في نفسه المقدرة على نظم الشعر العربي لتحقيق أماله وأمانيه وطموحه ويجد الذات، والنفس والمال والجاه والعز والمنزلة.

لم يكن البحتري أن الوقت قد حان للاتصال بالوزراء والخلفاء لذا يتعامل مع الواقع وأخذ يتطلع إلى حاضرة قرية يجرب حظه فيها هو وابنه ويحقق بعض من طموحاته فغادر إلى حلب وهو دون الخامس والعشرين من عمره وتعرف على علوة بنت زريقة ووقع في حبها فكانت الدلو الذي يمدح ماء قلبه وعصارة فكره، ويشعل عواطفه ويلهب أحاسيسه فتضامنت أبياته بل قصائده التي تلهج بذكرها وتصور تعسفه بها.<sup>(1)</sup>

وكانت تنهاه عن أن يشب بها وتطلب أن يعود إلى رشده صوناً لها وحفظاً عليها ولكن دون جدوى، يقول:

ويقول: إنني قد تركب غواتيني \*\* فأذهب لنسانك رائد الما تطرد  
قد كانت الفي من أخي وعمومي \*\* فيك الأذى يشتد متى وتهدر<sup>(2)</sup>

فيرد عليها قائلاً:

إنني لأجحد حبكم وأسرة \*\* الدمع معترف به لم يجحد  
والدمع يشهد إنني لك عاشق \*\* والناس قد علموا وإن لم يشهد  
فعلى فؤادك كيف عاصي بعدها \*\* وقد كان يتغنى ذليل المقدر<sup>(3)</sup>

وكانت أم علوة هذه "زريقة" مغنية تتطلع إلى تزويج ابنتها من رجل ثري حتى حصل لها وكان ذلك الرجل (الزقائي) الذي كان ثرياً إذ قام ببناء دار ضخمة لعلوة خلدها التاريخ فيها. ويقول الحموي: "وفي وسط حلب دار علوة صاحبة البحتري".<sup>(4)</sup>

(1) معجم البلدان، ج1، ص: 307.

(2) المرجع نفسه، ج2، ص: 325.

(3) الديوان، ج4، ص: 363.

(4) معجم الأدباء، ج10، ص: 249.

## حياته في حمص واتصاله بأبي تمام:

كان أبا تمام يتربع على عرش الشعر إذ كان يعتد نفسه ناقداً ومقديماً لشعر الشعراء وهذا يذكرنا بقصة النابغة الذي كان يقيم في خدمته في سوق عكاظ، فتأتيه الشعراء لتعرض أشعارها عليه. من ذلك أنه كان يقيم بحمص ويجلس في مكان خاص به فلا يبقى شاعر إلا حرص على قصيدته وارتداد مجالسه، وعرض أشعاره عليه.<sup>(1)</sup>

سمع البحتري مجيده، فما كان من إلا أن توجه إليه وكان أول أمر البحتري ونباهته به، وعرض شعره عليه، وكان الناس يعرضون عليها أشعارهم، فأقبل على البحتري وترك الناس جميعاً فلما تفرقوا قال له: انت أشعر من أشدني فكيف حالك؟ فشكا إليه خله فكتب أبو تمام إلى أهل معرة النعمان، وأشهد له بالحدق في الشعر، وشفع له إليهم، وقال له: امتدحه. فصار لهم كتابه الذي كتب فيه: "يصل كتابي مع الوليد أبي عبادة الطائي وهو شاعر فأكرموه".

ويضيف البحتري قائلاً: "فأكرموني ووظفوا إلى أربعة آلاف درهم فكان أول ما أصبته بالشعر".<sup>(2)</sup>

وهذا يدل على أنه انقطع لهم، وبقي في ديارهم معزراً مكرماً يحقق الذات من الناحيتين المادية والفنية، ولم يعد إلى حمص في تلك الفترة لعله عاد إلى منيح فيما بعد.

### المطلب الثاني: ثقافته:

نشأ البحتري وترعرع في ظل ثقافة عربية في بلدة منيح وما يحيط بها ن بلدان أخرى سواء أكان ذلك في البلدان أو ما جاورها من البادية فقد تأدب فيها وأفاد من حلقات الدروس التي تعقد في مساجدها. ويبدو أن الأمر بدأ في عشيرته التي غذته من فصاحتها ثم اختلف مبكراً إلى الكُتاب فحفظ القرآن الكريم أو شطراً كبيراً منه كما حفظ كثيراً من الأشعار والخطب، واختلف حيث شب إلى حلقات العلماء في المساجد يأخذ عنهم اللغة والنحو وشيئاً من الفقه والتفسير والحديث وعلم الكلام.<sup>(3)</sup>

(1) المرجع نفسه، نفس الصفحة.  
(2) أخبار البحتري، أبو بكر العولي، تحقيق: د. صالح الأشتر، مطبوعات المجمع العربي، دمشق، 1378هـ - 1958م، ص: 56.

(3) تاريخ الأدب العربي، ص: 271.

ولم تكن هذه الحلقات تهيم بعلم دون آخر، بل كانت تناقش العلوم الإسلامية والثقافة العربية ولم تكن هذه الثقافات مبكراً على شخص دون آخر، فالكل يحرص عليها وينهل منها ويتزود بها.

أما اللغة العربية فإنه تغزي سلبياتها، وعرف أسرارها من بيئته التي عاش فيها، وتتصل ثقافته بها بالنحو والصرف واللغة والأدب "الشعر والنثر".

فقد كان حافظاً لأشعار العرب وخطبهم، ولا مجال للحديث عن اللغة لأنها أساسية لكل شاعر وصل مكانة البحري.

ولا يفوتنا ونحن نتحدث عن ثقافته الأدبية أن يذكر ثقافته الواسعة، وكثرة محفوظاته وذوقه الرفيع كل ذلك في الكتاب الذي وضعه وسماه (كتاب الحماسة) ذلك أنه سار في اختياره على نهج أبي تمام في حماسته، واختلف معه في تصنيفه. وما دمنا أشرنا إلى حماسته المشهورة فلا بد الإشارة إلى كتابه (معاني الشعر).<sup>(1)</sup>

ولاشك أن مثل هذا الكتاب بحاجة إلى مقدرة نقدية وثقافة واسعة ويبدو أنه قام بوضع هذا الكتاب لينافس كبار نقاده الذين شغلهم قضية (اللفظ والمعنى) لأنه يرى ضرورة المشاكلة بينهما ويذكر ذلك بوضوح في قوله:

وزن مشعل الكلام اختياراً \*\* وتحنين ظلمة التعقيد  
وركبت اللفظ القريب فأدركت \*\* به غاية المراد التعييد  
كالعداري غدونا في الحل الصفر \*\* إذا رخت الخطوط السود<sup>(2)</sup>

فها تصوير رائع المشاكلة بين اللفظ والمعنى، إذ جمال المعنى يستدعي جمال اللفظ والشعر لمح تلقي إشارته. والمتصفح لديوانه يجد أنه كان على إطلاع واسع في التاريخ العربي الإسلامي إذ وصف كثير من الحوادث التاريخية في شعره ورصدها وسجلها وضمنها وارتبط ارتباطاً وثيقاً بشعره.

ولم يكن البحري مغرمًا بالثقافة الأجنبية التي سادت في عصره ولا بالثقافة العربية التي تأثرت تأثيراً واضحاً بتلك الثقافة الأجنبية، ولم يكن معنياً باستخدام علوم العصر التي انتشرت من فلسفة وملك وما إلى ذلك في شعره إلا ما جاء عفويًا غير مقصود لذاته ولذلك لا يمكن المقارنة بينه وبين أبي تمام الذي أولع بهذه الثقافات وتبينها في شعره ولا بينه وبين ابن الرومي الذي عاصره فقد ظل البحري بدويًا في ثوب حضاري ينهج نهج القدامى ويسرى على طريقهم ويطلع شعره بطابع جميل عذب رقيق كأنه سلاله الذهب. يضع

(1) المثل السائر، ضياء الدين بن الأثير، دار النهضة مصر للطباعة، ج4، القاهرة، 1973م، ص: 47.

(2) الديوان، ج1، ص: 209.

ألحانه الموسيقية بيده لكل لفظة من ألفاظه ضارباً كل هذه الثقافات بعرض الحائط، يقول:

كأفتمونا حدود منطقتكم \*\* في التبع يلقي عن صدقه كذبه  
ألم يكن ذو القروح يلج بال \*\* منطق ما نوعه وما سببه؟  
والشعر لمح تفكي إشارته \*\* ولست بالهذر طولت خطبه

لم يكن البحتري يعتمد شعره على فلسفته وثقافته بعقدان في أدواته وكان يعرف ذلك من نفسه، كما كان يعرفه معاصروه فيقول البعض عنه: لم يكن متفلسفاً، ولم يكن من رجال الفكر العميق فقد كان بدوياً إعرابياً ولذلك كان منحرفاً عن مذهب المصنعين، وظلت أدوات الصناعة عنده ساذجة بسيطة يستخدمها ولكن لا يعقدها.<sup>(1)</sup>

المطلب الثالث: وفاته:

يبدو أن البحتري لم يعد إلى موطنه، من أجل الاستقرار فيه إلا بعد أن تقدم به العمر وضاقت به نفسه إلى بلده وتشوق وأظهر حنينه إليه فعاد شيخاً غنياً ثرياً من بغداد في عصر المنتصر ولم يكن فيها إلا نحو خمس سنوات إذ أصيب السكتة القلبية ومات فيها ودفن سنة 284هـ - 897م، وقيل: عام 285هـ وقيل: 283هـ وهو ابن ثمانين سنة تقريباً، وقيل: توفي في حلب.<sup>(2)</sup>

يقال أن القاسم بن عبيد الله لما سمع بخبر وفاة البحتري وأنه مات بسكتة قلبية قال: ويحه رمى في أحسنه.<sup>(3)</sup>

(1) الفن ومذاهبه في الشعر العربي، د. شوقي ضيف، دار المعارف، 1985م، ص: 196.  
(2) شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي، دار إحياء التراث العربي، ج2، بيروت، ص: 188.  
(3) الأغاني، ج21، ص: 51.

## المبحث الثالث الأغراض الشعرية

### المطلب الأول: المديح:

يكاد غرض المديح من حيث الكثرة والطول والجودة وكان البحثري في عصر شاعر المديح بعد أبي تمام بلا منازع، وهو أمير الشعراء، تربع العرش بلا منافس، فقد أخذ بمدح الخلفاء الواحد تلو الآخر، ولم يترفع في مدائحه عن وزير أو قائد فأنسالت قصائده قوية كالسيل المنهمر، وانتالت عيون قريضة رقراقة كجريان الماء، فقد جمع بين الجزالة والرقّة والمتانة والغزوبة، وإذا به يخرجها على أكل وجه العروس المجلوة ينزل بها عطاء العباسيين وولاتهم، إذا نصب نفسه للدفاع عن مبادئهم وسياستهم، حتى أصبح شاعر البلاط ونديم الخلفاء، وشفيع الوزراء، كلهم يخطب وده، ويمتدح معانيه ويشري قصائده، يقربون ولا يعضبونه، يعطونه ولا يحرمونهم، ويرفعون ويطلبون رضاه يحرصون على مجالسته، وكان يستعطف اللؤماء ويتق شرهم وبذلك حرص على إتقان شعره وبرع في صناعة فنه وعرف طريق التكسب، ولم يكن يأبه لمديح فضله شخصياً ولم يلتفت إلى الفخر بنفسه وقبيلته إلا ما ندر، ولم يعط بالاً لعشيرته وقومه الذين انتم إليهم وتربى في ربوعهم بل أخذ ينطق بفضائف غيره ويتغنى بأمجاد العظماء الذين أغدقوا عليه العطاء، ومنوا عليه الكرم، حتى جمع الأموال، وحصل الأراضي والبساتين، وامتلك المنازل والدور وبني المجالس والقصور بيد أنه نسي كل ما يمت له بصلة من أهل وديار وأصحاب ذكريات و(علوة) التي كان يلهج بذكرها دائماً، يقول في مدح الفتح بن خاقان:

كفاني نائبات الدهر إنني	**	على الفتح بن خاقان اعتمادي
وصلت به عرى الآمال إنني	**	أحب شمائل الفهم الجود
جفوت الشام مرتبعي وأنسي	**	وعلوة خلتي وهوى فؤادي
ومثل نذاك أذهلني حبيبي	**	وأكسبني سلواً عن بلادي
وكم لك من يد بيضاء عندي	**	لها فضل كفضلك والأأيادي
ومن نعماء يحسدني عليها	**	أوانني أسرني وذوو ودادي
لقيت بها المصافي كالملاحي	**	وألقيت الموالي كالمعادي <sup>(1)</sup>

ويعترف أنه لولا رعاية الفتح بن خاقان، وعنايته به، لتكالبت عليه صروف الدهر من كل حذب وصبوب ولكن جود العطاء وحسن

(1) الديوان، ج2، ص: 726.

الرعاية، وعقيم العناية حالت دون وقوع البحتري لأحداث الأيام لأنها  
حضته وأمنته، يقول:

لم ألقه حتى لقيت عطاءه \*\* جزلاً، وعرفني الغني معروفة  
فتفتحت بالإذن لي أبوابه \*\* وترفعت عني إليه سجوفه  
غنيت تدفق واللجين رهامه \*\* فينا وليت والرماح غريفه  
ولي الأمور برأيه، فسداده \*\* إمضاؤه بالخدم أو توفيقه  
ونعى العلاة إليه عفو لووني \*\* تنتهم عضياً إليه سيوفه  
ما لقيت بك الزمان تصدعت \*\* عن ساحتي أحداثه وصروفه<sup>(1)</sup>

وقد رسم أبو تمام للبحتري خطة واضحة، ومنهجاً بيناً، فسار شاعرنا  
على رسم بخطي ثابتة، ويتمثل ذلك في قوله (وإذا أخذت في مدح سيد ذي  
أيام، فأشهر مناقبه، وأظهر مناسبه وابن معالمه، وشرف مقامه، وتقاص  
المعاني، وأحذر المجهول منها، وإياك أن تتبني شعرك بالألفاظ الذرية)<sup>(2)</sup>،  
ويقول ابن رشيق القيرواني: (وسبيل الشاعر إذا مدح ملكاً أن سبيلك طريقة  
الإيضاح، والاسبادة بذكر الممدوح، أن يجعل معانيه جزلة وألفاظه نقية غير  
مبتذلة سوقية..)<sup>(3)</sup>

ولا نريد في إسراف الأمثلة الدالة على هذا، وسنكتفي بقصيدة واحدة  
على غرض المديح وهي في مدح المتوكل، ووصف خروجه يوم العيد لعلها  
تمثل فن المديح، وها نحن نثبت القصيدة كاملة بما فيها مقدمتها الغزلية لنرى  
مقدرة الشاعر على الابتداء وحسن التلخيص بقول:

أخفى هوى لك في الضلوع وأظهر \*\* وألام في كمد عليك وأعذر  
وأراك خنت على النوى من لم يخن \*\* عهد الهوى، وهجرت لا يهجر  
وطبت منك مودة لم أعطها \*\* إن المعنى طالب لا يظفر  
هل دني (علوة) سيطاع فيقتضي \*\* أم ظلم (علوة) نستقيق فيقصر؟  
بيضاء تعطيك القضيب قوامها \*\* وبربك عندها الغزال الأحور  
تمشى فتحك في القلوب بزلها \*\* وتميس في ظل في الشباب فتخطر  
وتميل من لنا الصبا فيقمها \*\* قد يؤنت تارة ويذكر  
إني، وإن جانبت بعض بطالتي \*\* وتوهم الواشون إني مقصر  
الله مكن للخليفة (جعفر) \*\* ملكاً تعينه الخليفة (جعفر)  
فأسلم أمير المؤمنين ولا تزل \*\* تعطي الزيادة في البقاء وتشكر  
عمت فواضلك البرية فالتقي \*\* فيها المقل على الغني المكثر

(1) الديوان، ج3، ص: 1420.

(2) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، بن رشيق القيرواني، تحقيق: د. محمد قزاقران، دار المعرفة، ط1،  
ج2، بيروت، 1408هـ - 1988م، ص: 750.

(3) المصدر السابق، ج2، ص: 772.

بالبر صمت، وأنت أفضل صائم \*\* ونسوة الله الرضية تقطر  
 نأنعم بيوم الفطر عيداً إنه \*\* يوم أعز من الزمان، مشهر  
 أظهرت عزل الملك فيه بجحفل \*\* لحب يحاط الدين فيه وينتصر  
 خلنا الجبال تسير فيه وقد عدت \*\* عدداً يسير العديد الأكثر  
 فالخيل تصهل، والفوارس ترعى \*\* والبيض، تلمع والأسنة تزهر  
 والأرض خاشعة تميد بثقلها \*\* والجو معتكر الجوانب أغبر  
 والشمس ماتعة توقد من الضحى \*\* طوراً، ويطفئها العجاج الأكر  
 صلوا وراءك آخذين ببصمة \*\* من ربهم، الذمة لا تخفر  
 فأسعد بمغفرة الإله فلم يزل \*\* يهب الذنوب لمن شاء ويغفر  
 الله أعطاك المحبة في الورى \*\* وحبك بالفضل الذي لا ينكر  
 لأنت أصلاً للعيون لديهم \*\* رأجل قدراً في الصدور أكبر<sup>(1)</sup>

ولم سكن المدح عنده إلا استنزالاً لمال الكريم، وضامناً للحاجة، وشافعاً مشفعاً، وحاكماً محكماً، يقول في وصف قصائده:

ليوامن للحاجات إما شوافعاً \*\* مشفعة أو حاكمات تحكم  
 ورأيت عزت لي وهي شعر ميسر \*\* وراحت على وهي ما مقسم<sup>(2)</sup>

المطلب الثاني: الغزل والطيف:

أولاً: الغزل:

من الطبيعي أن نتبع موضوع المديح بالنسب أو الغزل ذلك أن البحثري فارس الحلبية في هذا المضمار، فقد أكثر منه إكثاراً لفت النظر إليه، بسبب كثرة المديح عنده وافتتاح قصائد المديح بالنسيب والغزل ولذلك تفرد به وخص فحاذ قصب السبق، فاق القدماء، ولم ينافسه منافس معاصر، ولم يلحق بشأوه تابع.

والغزل (قريب من النفوس، لائط بالقلوب، لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل، وإلف النساء، فليس يكاد يخلو من أن يكون متعلقاً منه بسبب وضارباً فيه بسهم حلال أو حرام).<sup>(3)</sup>

الغزل هو أساس النظم، ومفتاح لإنغلاق القريض، فهذا ذو الرمة يقول حين سئل: كيف تفعل إذا انقلد دونك الشعر؟ قال: كيف ينقلد دوني وعندي مفتاحه؟ قيل له وعنه سألناك ما هو؟ قال الخلو بذكر الحبان.<sup>(4)</sup>

(1) الديوان، ج2، ص: 1070 - 1073.

(2) المرجع نفسه، ج3، ص: 1927.

(3) نفسه، ج2، ص: 1071 - 1074.

(4) العمدة، ج2، ص: 750.



وقد أوصى أبو تمام البحتري بقوله: (إن أدركت النسيب فأجعل اللفظ رقيقاً، والمعني رشيقاً، وأكثر فيه من بيان الصبابة وتوجع الكأبة، وقلق الأشواق، ولو عة الفراق).<sup>(1)</sup>

وكان البحتري ملكاً لناصرية الكلام على الخلوة بالحبيب وفارساً من فرسان الغزل وأميراً على المحبين.

ومادة الغزل ثلاثة عناصر: الرجل والمرأة والحب. فالرجل هو الذي يهوى، ويحب ويخضع ويذل ويتماوت ويذرف الدموع ويكابد الليالي ويذوق المرارة والعذاب والأسى والحزن والألم والشكوى والحنين، والبعد والجفاء.. المرأة المدللة، المحبوبة الممتعة، القاطعة، البعيدة، القريبة، المتحكمة، اللعوب تملك القدرة على التحكم والصد، وتملك الوسائل التي تجذب الرجل، كجذب الزهر النحل، من الناحيتين، الحسية والمعنوية.. أما الحب فهو مادة ساحرة لاهبة حارقة تستخدمها المرأة وسيلة تعذيب وإشعال لقلب مقيم تهز بها كيان الرجولة وتقضي على الإحساس بالكبرياء عند الرجل وتفتح الجراح التي لا تندمل وتمزق الأكباد أسي ولو عة.

والغزل من أصدق الأغراض الشعرية، لأنه بعيد عن إحساس ملئع وعاطفة ثائرة وهو ذاتي، لا يسيطر عليه من قبل الآخرين، واستطاع البحتري أن يعبر عن لواعجه بكل صدق لأنه اكتوى بنار الحب، نار (علوة) ذلك أن هذا الغرض يمثل في شخصية التزاوج بين نفسيته المعذبة وتجارب حب الراقصة التي ارتبطت بالحرمان.

والحديث يطول إذا ما أردنا استعراض شعره فيه ولكننا نكتفي بذكر بعض الأمثلة التي تدل على فحولته فيه، ومصدرته على البدء به، وقد أشاد القدماء بابتداءات البحتري، وقالوا يصنع الابتداء سهلاً ويأتي عفويًا وقد فضل وجودته إياه أي الاستهلال والابتداء على أبي تمام والمتنبي فلو حاسبهما لأربي عليهما وفقصرا عن عدوة.<sup>(2)</sup>

يقول في هذا الباب:

ألم تعلمي يا (علوة) أنني معذب \*\* بحبكم، والحنين وللمرء يحل  
فإن ساءكم ما بين من الضرفارحموا \*\* وإن سرکم هذا العذاب فعذبوا  
وقد قال لي ناس: تحمل دلالتها \*\* فكل صديق سوف يرى ويغضب  
وإنني لأقلي بذل غيرك فأعلمي \*\* وبخلك في صدري ألد وأطيب  
ألا جعل الله الفدا كل حرة \*\* لـ(علوة) المنى إنني بها لمعذب  
فما دونها للقلب في الناس مطلب \*\* ولا خلفها للقلب في الناس مهرب

(1) المرجع نفسه، ج1، ص: 374.

(2) الديوان، ج3، ص: 2004.

فإن تلك (علو) بعدنا قد تغيرت \*\*  
 وحالت عن العهد الذي كان بيننا \*\*  
 وهان عليها ما ألقى فربما \*\*  
 ولكنني والخالق البارئ الذي \*\*  
 لا متمسكن بالود ما ذر فارق \*\*  
 وأبكي على (علو) بعين سخينة \*\*  
 ولو أن لي مطلع الشمس بكرة \*\*  
 أخيط به مكالماً كان عزلها \*\*

ويقول في قصيدة الغزل:

ألا أسعديني بالدموع السواكب \*\*  
 رسحبي دموعاً هاملات كأنما \*\*  
 إن كنت قد بلغت يا (علو) باطلاً \*\*  
 ولا تعجلي بالصرم حتى تسني \*\*  
 كأن جميع الأرض حتى أركم \*\*  
 ولو زرتكم في اليوم سبعين مرة \*\*  
 أراني أبيت الليل صاحب عهدة \*\*  
 أراقب طول الليل حتى إذا انقضي \*\*  
 إذا ذهب هذان مني بلدي \*\*

والقصيدة طويلة كسابقتها، يبيث فيه أجزائه، ويصور آلامه،  
 ويبرز صرماً وتمنعها، إلى أن يأخذ في عتابها طالباً منها الرحمة  
 والشفقة وأن تتقي الله في هذا المحب وأن تشفق عليه، وترأف بحاله  
 وتخفف آلامه، يقول:

أما تتقي الله في قتل عاشق \*\*  
 أقسم لو أبصرتني متضرعاً \*\*  
 وحولي من العواد باكاً ومشفق \*\*  
 بباك مني ما ترين توجعاً \*\*

وكما يلاحظ في هذه الأمثلة فإنها تصير على نمط القصائد في الغزل  
 العذري الذي عهدناه في العصر الأموي من حيث: الأسلوب، والصياغة،  
 العاطفة والشاعر والأحاسيس.

تخصيص القصيدة بكاملها في الغزل:

أما تتقي الله في قتل عاشق \*\*  
 صريح قريح القلب كالتبن ذائب

(1) المرجع نفسه، ج4، ص: 2158.

(2) الديوان، ج1، ص: 310 - 311.

(3) المرجع السابق، ج1، ص: 312.

أقسم لو أبصرتني متضرعاً \*\*  
 وحولي من العواد باك ومشفق \*\*  
 بكاك مني ما ترين توجعاً \*\*  
 كأنك بي يا (علو) قد قام نادبي<sup>(1)</sup>

ويقول في (علوة):

قد خفت ألا أراكم آخر الأبد \*\*  
 الموت يا مالكي خير وأرواح لي \*\*  
 يا (علوة) يا زينة الدنيا وبهجتها \*\*  
 ما ضر قوماً إذا أوطأت أرضهم \*\*  
 وأن أموت بهذا الشوق والكمد \*\*  
 من أن أعيش حليف الهم والسهد \*\*  
 أنضجت قلبي وأكسبت الهوى كبدي \*\*  
 ألا يروا ضوء شمس آخر الأبد<sup>(2)</sup>

هذا النمط من القصائد التي خصصها من أولها إلى آخرها في الغزل، وهي كثيرة، وعود على بدء، إذا قلنا أن البحتري ملك مفتاح القصائد، لأنه ملك الخلوة بذكر الحبيب وكيف ولا، وقد عرفه بمدائحه التي ابتدأها بالنسيب وقد شغلت حيزاً كبيراً في الديوان.

ومعروف أنه إذا كان مدح بالنسب المقدم، تحقق هذا عند البحتري وتكاد نعثر على قصيدة واحدة في المدح إلا قدم لها بالغزل ونعرض هاهنا لمثاليين لنثبت ذلك:

ويقول في مقدمة قصيدته في مدح المتوكل:

عزيزي فيك من لاح إذا ما \*\*  
 شكوت الحب حرقني ملاما \*\*  
 لا وأبيك ما ضعيت حلماً \*\*  
 ولا فارقنت في حبك زاما \*\*  
 آلام على هواك، وليس عالا \*\*  
 إذا أحببت مثلك أن الأما \*\*  
 قد حرمت من وصلي حلالا \*\*  
 وقد حطت من هجري حراما \*\*  
 أعيدي في نظرة متنسب \*\*  
 توفى الأجر أو كره الأثاما \*\*  
 رى كبداً محرقة، وعيناً \*\*  
 مؤرقة، وقلبا مستهما \*\*  
 تناءت دار علوة بعد قرب \*\*  
 فهل ركب يبلغها السلاما؟<sup>(3)</sup>

ويقول في الوقوف على الطلل وذرف الدموع على الحبيب:

كم من وقوف على الأطلال والرمن \*\*  
 لم تشف من برجاء الشوق ذا الشجن \*\*  
 بعض الملامة إن الحب مغلبة \*\*  
 للصبر، مجابة للشيب والحزن \*\*  
 وما يرينك من ألف نصب إلى \*\*  
 ألف ومن سكن يصبو إلى سكن \*\*  
 عين مسهدة الأجان أرقها \*\*  
 نأي الحبيب وقلب ناحل البدن \*\*  
 أسقي الغمام بلاد الغور من بلد \*\*  
 هاج الهوى وزمان الغور من زمن<sup>(4)</sup>

(1) الديوان، ج1، ص: 312.

(2) المرجع نفسه، ج2، ص: 761.

(3) الديوان، ج3، ص: 2004.

(4) المرجع نفسه، ج4، ص: 2160.

ويبدو أن البحثري كان مغرمًا بـ(علوة) حريصاً عليها ولذلك أخذ يذكر أسماء أخرى كثيرة بدلاً منها، تستراً وحفاظاً عليها من هذه الأسماء (أروة) و(أسماء) و(تماضر) و(وعد) و(الرّباب) و(ربا) و(ينب) و(سعدى) و(صروف) و(وظلوم) و(ظمياء) و(البنى) و(لعوب) و(ليلي) و(قتيلة) و(ماوية).

وفي ذلك يقول:

بعمرك تدرى أي شأني اعجب \*\* فقد أشكلا يا ديهما المغيب  
جنوني في (ليلي) وليلي خلية \*\* وصفوي إلى (سعدى) و(سعدى) تجنب  
إذا لبست كانت الجمال لرأسها \*\* وتسلب لب المجتلي حين تسلب  
وسميتها من خشية الناس (زينباً) \*\* ولم شرت حباً على الناس (زينب)<sup>(1)</sup>

ثانياً: الطيف:

طيف الخيال: مجيئه في النوم. وطاف الخيال طيفاً ومطافاً، والطيف الخيال نفسه والطيف: المس من الشيطان وأصل الطيف الجنون، ثم استعمل في النقب ومس الشيطان<sup>(2)</sup> والطيف ضرب كم ضروب الغزل أو النسب، يبتدئ به الشاعر قصيدته، أو يقدم الغزل به، وهما صنوان لا يفترقان وجهان لعملة واحدة يمكن أن يكون الغزل دون الطيف وقلما نجد الطيف دون الغزل وغالباً ما نجد الموضوعين معاً في شعر البحثري الذي كان أكثر الناس إبداعاً في الخيال حتى صار لاشتهاره مثلاً يقال له (خيال البحثري)<sup>(3)</sup> أي طيفه: يقول بن رشيق (وشعره من هذا النمط لاسيما إن ذكر الطيف فإن الباب الذي اشتهر به، فالبحتري أرق الناس نسيباً، وأصلحهم طريقة)<sup>(4)</sup>.

يقول في إحدى قصائده:

دع دموعي في ذلك الاشتياق \*\* تتناجى بفعل يوم الفراق  
فعسى الدمع أن يسكن بالسكـ \*\* ب غليلاً من هائم مشتاق  
إن (ريا) لم تتق ريا من الوصـ \*\* ل ولم تدر ما جوى العشاق  
بعثت طيفها إلى ودوني \*\* وخذ شهرين سهادي العتاق  
زاد وهنا من الشام فحيا \*\* ستهاماً حباباً على العراق  
ففضى ما تحصى، وعاد إليها \*\* والدجى في نيابة الأخلاق  
قد أخذنا من التلاقي محط \*\* والتلاقي في عدل التلاقي<sup>(5)</sup>

(1) نفسه، ج3، ص: 2005.

(2) الديوان، ج1، ص: 134.

(3) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، 1307هـ، ط1، ص: 110 - 120.

(4) زهرة الأدب، الحصري، تحقيق: د. زكي مبارك، دار الجبل، ط4، بيروت، 1972م، ج2، ص: 10.

(5) العمدة، ج2، ص: 757.

وهذا مزاج بين النسيب والطيف عد البحتري هو خيال والخيال، انعكاس نفسي وشعور بالحرمان يصعب تحقيقه في الواقع، إلا ما كان منه في أحلام اليقظة، يظل يسيطر عليه إلى أن يتحقق في الشعور اللاواعي، أي في مرحلة اللاوعي، الإدراك وفيه يتخطى الإنسان الزمان والمكان فيقرب المكان ويبعده ويستحضر الزمان واقعيًا ويتعامل معه، دون حسيب أو رقيب أو حاذر أخلاقي أو سياسي أو اجتماعي ولذلك يرى أن كل ما حرم منه في واقعه وتذلل من أجله ولحق به الألم والحزن والحسرة والجوى وشدة الشوق من ورائه، وخضع طمعاً في نواله أملاً أن يتحقق له، ويعيش معه ويقرب معه، ويلتمس جوارحه ويقضي مآربه.

يقول الشريف المرتضي: الطيف زور وباطل كالانتفاع لو كان حقاً يقينياً، وهل فرق بين لذة الخيال في حال تمثيلها وتخيلها وبين لذة اللقاء الصحيح والوصال الصريح، وبعد زوال الأمرين ومقارنة الحالين وما أحدهما في فقد متعته وزوال ضغينة إلا كصاحبه ومما يمدح به أنه زيارة من غير وعد يخشى مطله، ويخاف لبسه وفوته، واللذة اليت لم تحتسب ولم ترتقي يتضاعف بها الالتذاذ والاستمتاع، وأنه وصل من قاطع، وزيارة من هاجر وعطاء من مانع، وبذل من ضنين وجود من بخيل وللشيء بعد ضده من النفوس موقع معروف عند مجهول. ومن مليح مدحه وغريبه أنه لقاء واجتماع لا يقتر الرقباء بهما، ولا يخشى منع منهما، ولا اطلاع عليهما والمتعة بهما زائلة، والريبة عنها عادلة، وأنه تمتع ولكن لا يتعلق ولا يدنو إليها تأثيم ولا عيب فهيمما ولا عار<sup>(1)</sup> إن كل ما تراه عند البحتري من ذكر الطيف إنما يدور في فلك هذه المعاني باختصار نقول:

هو كسر الحواجز والقيود، وتحقيق ما لا يتحقق في الواقع وهذا ما يقوله البحتري:

"والتلاقي في اليوم عدل التلاقي".

أي اللقاء في المنام هو تغير اللقاء في اليقظة. وقد يقع في زيارة الطيف ما لا يمكن أن يكون مثله في الواقع، بسبب الحرمان والأوهام وانشغال الفكر وذلك يستمر هذا الانشغال في النوم واللاوعي. وأمثله كثيرة كما قلنا وسنحاول أن ندون مجموعة من الأبيات قمنا باقتطافها من مكانها وفصلها عن موضعها وكان الأمر شاقاً، إذا يبدو أن الطيف الشيء، والنسيب شيء آخر، وليس الأمر كذلك فالطيف من اللبنيات الأساسية في الغزل في الاستهلال ولكن طبيعة الدراسة تقتضي الاستشهاد بها للاختصار والتمثيل:

(1) طيف الخيال، الشريف المرتضي، تحقيق: د. محمود حسن أبو ناجي، ط1، بيروت، 1404هـ - 1984م، ص: 26 - 27.

أخيال علوة كيف زرت وعندنا \*\* أرق شر وبالخيال الزائر؟  
 طيف ألم بنا ونحن بمهمة \*\* تغر شق على الملم الحاضر  
 أقصى إلى شعث تطير كراهم \*\* روحيات قود كالعشى ضوامر  
 حتى إذا نزعوا الدحي وشربوا \*\* من فضل هلهلة الصباح الغائر  
 أرموا إلى شعب الرحال بأعين \*\* يكسرن من نظر النعاس الفائر  
 أهوى، فأسعف بالتحية خلسة \*\* والشمس تلمع في جناح الطائر  
 سرن، وأنت مقيمة، ولربما \*\* كان المقيم علاقة للسائر<sup>(1)</sup>

يلق الأمدى على هذه الأبيات بقوله: "وهذا والكلام العربي والمذهب الذي يبعد على غيره أن يأتي بمثله" ويقول الشريف المرتضى معلقاً عليها: "إن الوصف يقصر على بلاغة هذه الأبيات وبراعتها وسلامتها" وإنما يعجب من طروق الخيال مع الأرق الذي يشمل الخيال فلا يكون معه في موضع العجب ولا يمكن أن يكون يقوم، ومعالجة السهر، طرقة طيف الخيال في ذلك التهويم الخفيف الضعيف<sup>(2)</sup> تقدم فيما أوردناه للبحثري، في كتابنا: طيف الخيال ما هو من هذه الأبيات أتضع وأجلى وأعلى وأعبق بالقلوب، وأعلق بالنفوس"<sup>(3)</sup>.

والجدير بالذكر أن الشريف المرتضى كان معجباً بالبحثري، مما دفعه إلى تصنيف كتابه الشهير (طيف الخيال) معتمداً فيه على الطائيين (أبي تمام والبحتري) وأخيه (الشريف الرضي) يقول مقدمة كتابه: اعتمد على إخراج كتابي ما في ديوان الطائيين وشعر أخي، فأنقله على حقيقته من غير إخلال بشيء منه وأتكلّم على معانيه ومقاصده منظراً بين نظائره، كاشفاً عن دفائنه وسرايره.. ولأبي تمام في هذا المعنى التافة اليسير فإنه ما عنى به ولا رزق منه. والبحتري فإنه كان مغرماً متيماً بالقول في الطيف فأكثر فيه وأغزر مع تجويد وإحسان وافتتان وتصرف فتصرف فيه تصرف الهالكين وتمكنه منه تمكن القادرين وشأنه إلى مواقع إحسانه وإغرابه"<sup>(4)</sup>.

وفيما يلي طائفة شعرية يتحدث فيها البحتري عن الطيف، يقول:

طيف الحبيب ألم من، رؤية \*\* وبعيد موقع أرضه وسمائه  
 برع الوي، عجلاً، ووجه مبرعاً \*\* من حزن أبرقه إلى جرعائه  
 يهدى السلام، وفي اهتداء خياله \*\* من بعده عجب، وفي إهدائه  
 لوزار في غير الكرى شفاك من \*\* حبك الغرام ومن جوى برجائه

(1) الديوان، ج2، ص: 1016.

(2) طيف الخيال، ص: 41.

(3) المرجع نفسه، ص: 38.

(4) نفسه، ص: 25.

- فرع الهوى أو من بدائك \*\*  
ويقول:  
سرى الطيف من (ظمياء) وهنا \*\*  
فمرحبا  
ألم يفر لاغبين وأضيق ذرعن \*\*  
ويقول:  
أمئك تأوب الطيف الطروف \*\*  
تخطى رقبة الواشين وهنا \*\*  
الكاذبين وأصدقه ودادا \*\*  
ويقول:  
إذا قلن: تحفين لصبابة ردها \*\*  
يعود وقد ضنت الألى يشفي بهم \*\*  
ترينيك أحلام النيام وتبيننا \*\*  
ويقول:  
وإني لأشتاق الخيال وأكثر الـ \*\*  
ويقول:  
يهيج لي طيف الخيال صبابه \*\*  
ويقول:  
إذا نسيت هوى (ليلى) أشاديه \*\*  
دنا إلى على بعد فأرقتي \*\*  
ويقول:  
قل للخيال: إذا أردت فعاد \*\*  
فلا أنت في نفسي إن عنيتني \*\*  
باتت بأحلام النيام تغرني \*\*  
ويقول:  
أخيل (علوة) كيف زرت وعندنا \*\*  
طيف ألم بنا ونحن بمهمه \*\*
- شان المتيم أن يموت بدائه(1)  
أهلاً بمسى طيف (ظمياء) من مسرى  
بنا من (إذرعان) إلى (بصرى)(2)  
حبيب جاء يهدي من حبيب  
وبعد مسافة الخرق المحوب  
ومن كلف مصادقة الكذوب(3)  
خيال ملم من حبيب مجاري  
ويدون وقد شطت ديار الخبائب  
مغاوز يسنفر عن جهد الركائب(4)  
زيارة من طيف زيارته غب(5)  
فله، ما طيف الخيال المهيج(6)  
طيف سرى في سواد الليل انجنا  
حتى تبلج ضوء القبح فانطحا(7)  
ترن المسافة من هوى متباعد  
وبعثت لي الأشجان أحلى وافد  
رواد التثني كالفصيح المائد  
أرق يشرد بالخيال الزائر  
قفر يشق على المكمل خاطر

(1) الديوان، ج1، ص: 23.

(2) الديوان، ج1، ص: 59.

(3) المرجع السابق، ج1، ص: 98.

(4) السابق، ج1، ص: 108.

(5) السابق، ج1، ص: 122.

(6) السابق، ج1، ص: 415.

(7) السابق، ج1، ص: 440.

أهوى، فأسعف بالتحية خلسة \*\* والشمس تلمع في جناح الطائر  
ويقول:

فلا وصل إلا أن يطلق خيالها \*\* بنا تحت جؤشوش من الليل أنصع  
ألمت بنا بعد الهدوء فسامحت \*\* بوصل منى تطلبه في الجد تمنع  
ويقول:

يهدي الخيال لنا ذكرى، إذا طافا \*\* وافي يخادعنا والصبح قد وافي  
تصدقنا لمنع (سعدي) حيث نسألها \*\* سيلا وتكذبنا بدلاً وإسعاف<sup>(1)</sup>  
ويقول:

وما زالت الأحلام حتى ألتقى لنا \*\* خيالات باقي نائل ومنيل  
أنيهها وهنا وفي فضل مرطها \*\* أصاب قواة بالنعاس قتييل  
فيا حسنها إذ هب من سنة الكرى \*\* صدريع يصيك الزعفران رميل<sup>(2)</sup>

### المطلب الثالث: الفخر:

كنا نتوقع من البحثري أنه يقرع الأسماع، ويزلزل الأركان ويبهز الألبان ويملاً الأفاق بذكر آبائه وأجداده في كل قصيدة من قصائده، بل في كل بيت من أبياته جرياً على عادة الشعراء، الذين كان دينهم الفخر بكل ما يعتزون به، ويتفاخرون به من أحساب وأنساب وخلق وعقل وعفة وعدل وحكمة، ولم يركز على هذه الظاهرة على الرغم من توافر كل عوامل الفخر له، ولعل ذلك يعود إلى حاجته الماسة إلى المديح الذي بذل فيه المادح ويخضع، ويستعطف اللئيم ولم يترفع البحثري عن كل من لقيه وقابله، إذا أخذ يمدحه بكل ما أوتى من مقدرة فنية.

ويبدو أنه كان وضع في الحسبان أن يترك قضية الفخر إلى ما بعد امتلاء جيبه وتحقيق أهدافه، لأنه لم يكن في عجلة من أمره، إذا لا يخدمه شيء لا مادياً ولا معنوياً ولكنه فوجئ بأن العمر قد تقدم به، والشيخوخة قد سيطرت عليه، لذلك لا نجد قصائد كثيرة في هذا الموضوع وهي لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة.<sup>(3)</sup>

والغريب في الأمر أنها لم تنظم في مراحل حياته بل نظمه كلها وفي صباه وهذا مؤشر واضح أنه كان في عنفوانه، وأول شبابه، مما دفع به أن يفتخر في تلك المرحلة، ولكن هذا الموضوع سرعان ما يخبو، بمجرد اتصاله بالقواد والأمرء والذين أخذ يمدحهم، ويفرغ طاقته الشعرية في تعداد مناقبهم

(1) الديوان، ج3، ص: 1376.

(2) المرجع السابق، ج3، ص: 1830.

(3) الديوان، ج1، ص: 363.



وذكر صفاتهم، والإشادة بأمجادهم وكأته لا يملك هو نفسه للتكسب بمديحه، لا الفخر بنفسه، لأنه هذا هو شغله الشاغل، الذي يغادر عقله، ولا يفارق قلبه، ولا ينأى عن قصائده والراصد لقصائد الفخر عنده، على قلتها، يجد أنها جيدة لا تقل عن قصائد كبار الشعراء، وخاصة حين تضع في الحسبان أنها قيلت في صباه.

قال يفتخر في حادثه سنة عشرين ومئتين، أي وهو في السادسة عشرة من عمره:

ن قومي قوم الشريف قديماً \*\* رحديثاً، أبوه وجدودا  
 معتزلاً أمسكت حلومهم الأري \*\* ض، وكادت من عزمهم أن تميدا  
 يحسن الذكر عنهم والأحاديـ \*\* ث إذا حديث الحديد الحديد  
 معشر ينحزون بالخير والشر \*\* بد الدهر: موعداً ووعيدا  
 سائل الدهر مذ عرفناه هل يعـ \*\* عرف منا إلا الفعلا الحميدا  
 د لعمرى سدناه كهلاً وشيخاً \*\* ش باباً وناشئاً ووليـدا  
 وطوينا أيامه ولياليـ \*\* ه على المكرمان بيضاً وسودا  
 نحن أبناء (يعرب) أعذب النا \*\* س لساناً وأنضر الناس عودا  
 وكان الإله قال لنا: في الـ \*\* حرب كونوا حجارة وحديدا(1)

ويروى عن ابنه أنه قال: دخل أبي إلى مجلس فهدى أبو هفان المهزمي(2) وهو سيد:

تلبست للحرب أثوابها \*\* وقلت: أنا الرجل البحتري  
 وقل أبو هفان معيباً له:  
 فلما رأى الخيل قد أقبلت \*\* وجدانه في سرجه فتخري(3)

وهذا واضح أن أهل عصره أنه لم يكن فارس حرب ولا ابن بجدتها ولم يدخل معارك ولا حروباً.

ويقول مفتخراً بقصيدة طويلة، وهي من أوائل شعره الذي نظمه ويرجع تاريخها حوالي سنة (200هـ):

نكرتيني: فقلت: لا تنكريني \*\* لم أجل عن خلاقي واعتيادي  
 ن تريني ترى حساماً صقيلاً \*\* مشرقياً من السيوف الحداد  
 ثاني الليل، ثالث البيد والسيـ \*\* ر، نديم النجوم، ثرب السهاد  
 وطني حيث حطت العيس رحلي \*\* وذراعي الوساد وهو مهادي  
 لي من الشعر نخوة واعتزاز \*\* وهجوم على الأمور الشداد

(1) الديوان، ج1، ص: 590 - 595.

(2) طبقات الشعراء، ابن المعتز، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1987م،

ص: 409.

(3) الديوان، ج2، ص: 1114.

فإذا ما بنيت بيتاً تحتر \*\* ت كأي بنيت ذات العماد  
 لي من الدهر كل يوم عناء \*\* فرقتي معشري وقلّة زادي<sup>(1)</sup>  
 ويقول في قصيدة يرجح أنه أنشدها وهو في السادسة عشرة من عمره،  
 أي سنة 220هـ:

سأحيط وجه الدهر والليل، أو أرى \*\* تمزق ثوب الليل في وضح الفجر  
 وأوتر عنسي في المهامه والفلا على \*\* قرب عرسي في السواجير أو أتزي  
 تحماني الأيام ما لا أطيعه \*\* وتحماني منها على مركب وعر  
 أن كان قومي قوموا بفعالهم شديداً \*\* اعوجاج الدهر في سالف العصر  
 وجاروا على الأموال بالجود حورهم \*\* على معشر الأعداء بالقتل والأسر  
 وما نحن كالقضاء فإننا ضربنا \*\* جميع الناس بالخير والشر  
 تضيق ذروع المجد عن رحب فضلنا \*\* إذا أشمعي في فضلنا الأنس بالذكر

ويقول في قصيدة أخرى:

سألت يدي من الدنيا مراراً \*\* فما طمع العوازل في اقتصادي  
 وما وجبت على زكاة مال \*\* وهل تجب الزكاة على جواد؟<sup>(2)</sup>

أما قصيدته في وف الذئب ولقائه إياه، فإنها تدل على شاعريته الفذة  
 العظيمة، إذ كان قادراً على الجمع في هذه القصيدة، بين النسب وعتاب  
 أخواله، واقتخاره بنفسه وقوته وسماحته ونجدته وقدراته على دخول المعارك  
 والتصرف في راحها، ثم ينتقل إلى وصف الذئب الذي يجلب على تجلده وقوته  
 وحسن تصرفه<sup>(3)</sup> ثم يختتم هذه القصيدة بأبيات في الفخر والحكمة، وهي من  
 القصائد التي نظمها في ريعان شبابه في سنة 226هـ، يقول فيها:

قال لبني الضحاك مهلاً فإنني \*\* أنا الأفعون الصل والضيغم الورد  
 بين واصل مهلاً فإن ابن أختكم \*\* له غرمات هزل آرائها جد  
 متى هجتموه لا تهيجوا سوى الردى \*\* وإن كان خرقاً ما يحل له عقد  
 مهيباً كنصل السيف لو قذفت به \*\* ذرى (أجا) ظلت وأعلامه وهد  
 يود رجال أنني كنت بعض من \*\* طوته المنايا لا أروح ولا أغدو  
 ولو لا احتمالي ثقل كل ملمة \*\* سوء الأعادي لم يودوا الذي ودوا  
 ذريني وإياهم فحسبي صريمي \*\* إذا الحرب لم يقده لمغمدها زند  
 ولي صاحب عقب المضارب صارم \*\* طويل النجاد وما يقل له حد  
 فمن كان حراً فهو للغرم والسرى \*\* والليل من أفعاله والكرى عبد<sup>(4)</sup>

(1) الديوان، ج2، ص: 1082.

(2) الديوان، ج2، ص: 804.

(3) المرجع السابق، ج3، ص: 806.

(4) السابق، ج2، ص: 741.

ثم يصف لنا معركته مع الذئب المفترس، ويصور لنا انتصارها وتفوقه، وقد عرفنا بهذا الجزء في باب الوصف من الأغراض الشعرية، ثم يصل بنا الشاعر إلى بيان حاله وحكم الدهر عليه، وفخره بنفسه، يقول:

لقد حكمت فينا الليلي بجورها \*\* وحكم بنات الدهر ليس له قصد  
أفي العدل أن يشقي الكريم بجورها \*\* ويأخذ منها صفوها العقد والوتد  
ذريتي من ضرب القداح على السرى \*\* فغرمت لا تينية نحس ولا سعد!  
سأحمل نفسي عند كل مليمة \*\* على مثل حد السيف أخلصه الهند  
ليعلم من هاب السرى خشية الردى \*\* بأن قضاء الله ليس له رد  
إن عشت محموداً فمثلي يعنى الغنى \*\* يكسب مالاً أو ينث له حمد  
وإن مت لم أظفر فليس على أمرئ \*\* غدا طالباً إلا تقضيه والجهد<sup>(1)</sup>

ولعل هذه المختارات أثبتت مقدرة البحتري على موضوع الافتخار فهو ابن الضيعة، مادتها متوافرة، وقد أظهرت أيضاً أنه نظمها في أول شبابه وهو لم يتجاوز العشرين من عمره أو اقترب من هذا السن.

إن السؤال يظل قائماً، وهو لماذا هذا الفخر العقيم في أول مراحل حياته؟ ثم سرعان ما خبت جذوته، وكسدت سوقه وأطفأت ناره بعدئذ؟ لماذا كان كل ذلك بعد رحيله من موطنه إلى حاضرة الخلافة؟ وهل علينا أن نتفق مع القائل.

ونذهب إلى القول: لا كرامة للإنسان إلا في وطنه؟!

#### المطلب الرابع: الرثاء:

كان البحتري مقلاً في موضوع الرثاء، وقصائده نزره يسيره فيه، تبلغ في عددها تسع عشر قصيدة، وعلى قلتها فإنها جديرة بالتقدير والدراسة، فهي لا تقل في متانتها وصياغتها عن قصائد المديح، التي عرف بها البحتري في ابتدائها وكثرتها وجودتها.

يقول أبو الفرج الأصفهاني هو يتحدث عن قصة اتصال البحري بأبي سعيد التغري وابنه ركان: "كان مداحاً له طول أيامه ولابنه بعده، ورثاهما بعد مقتلهما فأجاده، ومراثيه فبهما أجود من مدائحه، ويضيف أبو الفرج قائلاً: روى أنه قيل في ذلك، فقال: من تمام الوفاء أن تفضل المراثي المدائح لا كما قال آخر. وقد سئل عن ضعف مراثيه فقال: كنا نعمل للجداء ونحن نعمل اليوم للوفاء وبينهما بعد".<sup>(2)</sup>

(1) الديوان، ج2، ص: 745.

(2) الديوان، ج3، ص: 1727.

ولقد عرضنا لمختارات من مراثيه في الخلفاء عند الحديث عنهم، ونخص بالذكر المتوكل ولا حاجة للإعادة، وما دام أبو الفرج يتحدث عن جودة الرثاء عند البحتري، وخص بالرثاء رثاء الثغري، فيجدر بنا أن نعرض لمجموعة من أبيات هذه القصائد يقول:

بأي أسى تنثني الدموع الهوامل \*\* ويرى زيال من جوى لا نزائل  
 دع الموت يقتل من أراد فإنه \*\* ثوى اليوم من تخشى عليه العوائل  
 ولم يبقى مرهوب تخاف شداته \*\* ولا مفضل ترجى يديه الفواضل  
 إذا عاجل الدنيا ألم بمفرح \*\* فمن حلف تجمع يستلوه اجل  
 عجت لهذا الدهر أفنى (محمداً) \*\* وكان الذي عوبه ويصاول  
 مضي، فمض مجد لليد وسؤدد \*\* وأدوي، فأودى منه بأس ونائل  
 وكان سراج الأرض، فالأرض مظلم \*\* قدرها، وحلى الدهر، فالدهر عاطل  
 ستبكيه عين لا ترى الجود بعده \*\* إذا فاض منها هامل عاد هامل  
 سقى الله قبراً لو شاء ترابه \*\* إذا سقيت منه الغيوم الهواطل<sup>(1)</sup>

ويقول:

امنوا ما أمنوا الردى حتى انطوى \*\* في الترب ذاك الكد والإقدام  
 تستقصر الأكباد وهي قريحة \*\* ويذم فيض الدمع وهو سجام  
 فعليك يا حلف الندى وعلى الندى \*\* من ذاهبين تحية وسلام<sup>(2)</sup>

ويقول في القصيدة الثالثة:

أعاذلتي، ما الدمع من فرط صبوة \*\* ولا من تنائي خله فذريني؟  
 ولا تسألني عما بليت فإنه \*\* على ماء وجهي جاد ماء حقوني  
 كلا أملي من يوسف بن محمد \*\* وأوحش فكري بعده وظنوني  
 وكان يدي تسلب، ونفسي تحرمت \*\* ودنياي بانتي يوم بان ودتيني  
 فوا أسفي ألا أكون شهدته \*\* فخاست شمالي عنده ويميني  
 وألا لقيت الموت أحمد دونه \*\* كما كان يلقي الدهر أغبر دوني  
 وإن بقائي بعده لخيانة \*\* وما كنت يوماً قبله بخؤون  
 أنسأك أم أنسى مصابك بعدما \*\* علقنت بحبل من نذاك متين  
 ولو كنت ذا علم بفرط صبابتي \*\* وما علم ثاو في التراب دفين  
 تيقنت أن العين جد عزيزة \*\* عليك، وأن القلب جد حزين  
 إذا أنا لم أشكرك نعماك بالركا \*\* قلت على نعمى أمرىء بأمين<sup>(3)</sup>

ولعمري أنها قصائد رائعة، أظهر فيه براعته، وإبداعه وأبرز موهبته ومقدرته الفنية.

(1) الديوان، ج3، ص: 1945.

(2) المرجع السابق، ج3، ص: 1727.

(3) الديوان، ج3، ص: 2182 - 2185.

وقد وفق كل التوفيق في هذا الغرض على قلة قصائده فيه ذلك أنه صور فيها وفاء الحقيقي، ووظف كل طاقاته في ذلك وقد امتاز أسلوبه بسهولة الألفاظ وحسن سكها، وجودة صياغتها، وترابط العبارات التي شكلت في اتحادها وتمازجها جواً مفعماً بالحزن، بكل عفوية نابغة من إحساس بالألم والأسى، والشعور بالحسرة والفجعة، من أجل ذلك كله كانت أكثر ألفاظه واسعة الدلالة غزيرة المعنى، شديدة التأثير.



## المبحث الأول علم البديع

المطلب الأول: تعريفه:

أولاً: لغة:

هو المخترع الموجد وهو مأخوذ من قولهم بدع الشيء وأبدعه اخترعه.

فتطلق كلمة البديع على الغريب العجيب أو الجديد الذي ينشأ على غير مثال سابق وهي في أسماء الله تعالى بمعنى الخالق ابتداء لا على مثال سابق. يقول **النَّصَلِيُّ** **وَالْبَدِيعُ** **الْأَرْضِ** **وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ** (1).

ثانياً: اصطلاحاً:

هو علم يعرف به الوجوه والمزايا التي تزيد الكلام حسناً وطلاوة وتكسوه بهاءً ورونقاً بعد مطابقته لمقتضى الحال ووضوح دلالة على المراد (2).

والبديع كما يقول الخطيب القزويني محمد بن عبد الرحمن في كتابه: "التخليص" هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة.

ويعرفه ابن خلدون بأنه: "النظر في تزيين الكلام وتحسينه بنوع من التتميق: إما بسجع يفصله أو تجنيس يشابه بين ألفاظه أو ترصيع يقطع أوزانه عن المعنى المقصود بإيهام معنى أخفى منه لإشراك اللفظ بينهما أو طبقاً التقابل" (3).

المطلب الثاني: نشأته ووضعه:

لم يستقل البديع كعلم من علوم البلاغة إلا في عصور متأخرة نسبياً عن قسميه المعاني والبيان وأول من خصه بقسم مستقل الخطيب القزويني بعد أن كان أستاذه السكاكي قد جعله ذيلًا للبلاغة.

ولكن كل ذلك لا يعني أن مظاهره لم تكن معروفة فقد ذكر ابن المعتز أن القدماء عرفوها وجاء المحدثون فتوسعوا فيها وأكثروا منها مما خلق

(1) سورة البقرة، الآية: 117.

(2) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، سيد أحمد الهاشمي، تحقيق: د. يوسف الصميلي، ط1،

شركة أبناء شريف الأنصاري، لبنان، 1431هـ - 2010م، ص: 300.

(3) علم البديع، عبد العزيز عتيق، الأفق العربية، ط1، القاهرة، 2006م.

الخصومة بين تيار المحدثين وتيار المحافظين ومن نتيجة ذلك أن خص ابن المعتز البديع بكاتب خاص جمع فيه ظواهر ذلك المذهب.(4)

فوجد أن من أوليات علم البديع محاولة قام بها شاعر عباسي من أبناء الأنصار أولع بالبديع في قوله:

تلقي المنية في أمثال عدتها \*\* كالسيف يقذف جلموداً بجلمود  
تجود بالنفس إن صن الجواد بها \*\* والجاد بالنفس أقصى غاية الجود

فجده قد وضع مصطلحات لبعض الصور البيانية والمحسنات اللفظية والمعنوية كالجناس والطباق.

ثم جاء بعده أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في كتاب البيان والتبيان المتوفى سنة 225هـ فهذا الكتاب اشتمل على كثير من الفوائد والخطب الرائعة وأسماء الخطباء والبلغاء مع بيان أقدارهم في البلاغة والخطابة.

قد أشار الجاحظ إلى البديع بقوله: "والبديع مقصور على العرب ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة وأدبت كل لسان والشاعر الراعي كثير البديع في شعره وبشار حسن البديع والعتابي يذهب في شعره في البديع مذهب بشار.

وكلمة البديع عنده تعني الصور والمحسنات اللفظية والمعنوية فإنه لم يحاول وضع تعريفات ومصطلحات لها لأن اهتمامه عند الكلام عنها كان بتقديم الأمثلة والنماذج.(5)

وتنبه الشعراء بصفة خاصة إلى الأثر الذي يتركه هذا البديع فأولعوا به واستخدموه في أشعارهم باعتبارها وسيلة الوصول إلى هذه الغاية.

استعمله بشار بن برد ومسلم بن الوليد وابن الرومي والبحتري حتى أصبح البديع غاية في ذاته على يد أبي تمام.

ويقال إن مسلم بن الوليد أول من أطلق كلمة البديع على هذا الفن وليس بن المعتز فقد جاء مسلم بهذا الاسم الذي سماه الناس البديع(6)، وشاعت هذه الكلمة حتى صارت في العصر العباسي تعني كل صورة غريبة أو طريفة أو جديدة حتى طغت على الأساليب الشعرية أو النثرية.

ابن المعتز:

لعل أول محاولة علمية جادة في ميدان علم البديع هي تلك التي قام بها خليفة عباسي هذا الخليفة هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل ابن

(4) جواهر البلاغة، مرجع سابق، ص: 32.

(5) علم البديع، مرجع سابق، ص: 7.

(6) الأغاني، الأصفهاني، دار التأليف، ط1، 31/19.



المعتصم بن هارون الرشيد، المولود سنة 247هـ، كان شاعراً مطبوعاً مقتدرًا على الشعر سهل اللفظ جيد القريحة حسن الإبداع للمعاني مغرمًا بالبديع في شعوه كان أديباً بليغاً مخالطاً للعلماء والأدباء وله بضعة عشر مؤلفاً في فنون شتى منها ديوانه وطبقات الشعراء وكتاب البديع، فإن كان عبد القاهر الجرجاني صاحب كتابي "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" هو واضع نظرية علم البيان وعلم المعاني فإن عبد الله بن المعتز هو واضع علم البديع في كتابه "البديع" الذي ألفه سنة 274هـ، ويبدو أنه ألف هذا الكتاب رداً على من زعم من معاصريه أن بشار بن برد ومسلم بن الوليد الأنصاري وأبا نواس هم السابقون إلى استعمال البديع في شعرهم جميع.

ثم إن حبيب بن أوس الطائي "أبا تمام" من بعدهم شغف به وتفرغ فيه قد حسن في بعض وأساء في بعض وتلك عقبى الإفراط وثمره الإسراف وإنما كان يقول الشاعر في هذا الفن البيت والبيتين في القصيدة وربما قرئت من شعر أحدهم قصائد من غير أن يوجد فيها بديع.

والمتصفح لكتاب البديع يجد أنه يشمل على خمسة أبواب يتحدث فيها ابن المعتز على أصول البديع الكبرى هي الاستعارة والجناس والمطابقة.

وينبه ابن المعتز في كتابه على أنه يقتصر علم البديع على الفنون الخمسة اختياراً من غير جهل بمحاسن الكلام ولا ضيق في المعرفة.<sup>(7)</sup>

---

(7) علم البديع، مرجع سابق، ص: 8 - 9.

## المبحث الثاني فنون علم البديع

### المطلب الأول: الطباق:

تعريفه لغة: أن يضع البعير رجله موضع يده فإذا فعل ذلك قبل طباق البعير.

وقال الأصمعي: المطابقة أصلها وضع الرجل موضع اليد في مشى ذوات الأربع، وقال الخليل: طابقت بين الشئيين إذا جمعت بينهما على حد واحد.

تعريفه في اصطلاح رجال البديع:

هو الجمع بين الضدّين أو بين الشئ وضده في كلام أو بيت شعر كالجمع بين اسمين متضادين من مثل: النهار والليل، والبياض والسواد، والجمع بين فعلين مثل يظهر ويبطن، والجمع بين حرفين الجر "اللام وعلى".<sup>(8)</sup>

الأمثلة:

قوله لُلهالهِبَا (كسبت ° وَ عَلَيهَا مَا اكْتَسَبت °).<sup>(9)</sup>

قول الشاعر:

على أنني راض بأن أحمل الهوى

وأخلص منه لا علي ولا ليا

الطباق ثلاثة أنواع:

**1/ طباق الإيجاب:** هي ما صرح فيها بإظهار الضدين، أو هي ما لم يختلف فيه الضدان إيجاباً وسلباً.

ومن أمثله قوله لُوهَاللَّيْبَا (يُبَدِّلُ اللّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ)<sup>(10)</sup>، وقوله: **يَه بِاللَّوْطِ خُفْمَةٌ وَ ظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ** (11).

ومن الأمثلة قول الشاعر:

كر مفر مقبل مدبر معاً \*\* كجلمود صخر حطه السيل من علٍ

**2/ طباق السلب:** هو ما لم يصرح فيه بإظهار الضدين أو هو ما اختلف فيه الضدان سلباً وإيجاباً.

نحو قوله تعالى (فَرَأَى الَّذِينَ يَتَوَهَّمُونَ وَيَعْلَمُونَ) (12).

(8) علم البديع، مرجع سابق، ص: 53 - 57.

(9) سورة البقرة، الآية: 286.

(10) سورة الفرقان، الآية: 70.

(11) سورة الحديد، الآية: 13.

فالطباق هنا في الجمع بين "يعلمون ولا يعلمون".

كقول امرئ القيس:

جزعت ولم أجزع من البيت جزعاً \*\* عزيت قلبي بالكواعب مولعاً

3/ طباق إيهام التضاد: هو أن يوهم لفظ الضد أنه ضد مع أنه ليس بـضد.

كقول الشاعر:

يدي وشاحاً أبيضاً من سيبه \*\* والجو قد لبس الوشاح الأغبراً

فإن الأغبر ليس بـضد الأبيض وإنما يوهم بلفظه أنه ضده. (13)

ومثله كقول دعبل الخزاعي:

تعجبي يا سلم من رجل \*\* ضحك المشيب برأسه فبكي

فإن الضحك هنا ليس بـضد البكاء لأنه كناية عن كثرة الشيب، ولكنه من جهة اللفظ يوهم المطابقة.

بلاغة الطباق:

بلاغة الطباق لا يكفي فيها الإتيان بمجرد لفظين متضادين في المعنى،

كقول الشاعر:

ولقد نزلت من الملوك بماجد \*\* فقد الرجال إليه مفتاح الغنى

فمثل هذه المطابقة لا طائل منها لأن مطابقة الضد بالضد أمر سهل، وإنما الجمال يكون بعد أن تشرح بنوع من أنواع البديع شاركها في البهجة والرونق.

كقول الشاعر:

مر مفر مدبرٍ معاً \*\* جلمود صخر حطه السيل من علٍ

المطلب الثاني: المقابلة:

أن يضع الشاعر معاني يريد التوفيق أو المخالفة بين بعضها فيأتي في

الموافق بما يوافق وفي المخالف على الصحة أو يشترط شروطاً أو يعد أحوالاً في أحد المعنيين فيجب أن يأتي فيما يوافقه بمثل الذي شرطه وعدده. (14)

مثل قول الشاعر:

أموت إذا ما صد عني بوجهه \*\* ويفرح قلبي حين يرجع للوصل

وجاء أبو هلال العسكري فعرف المقابلة بقوله: "هي إيراد الكلام ثم

مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على وجه الموافقة أو المخالفة".

(12) سورة الزمر، الآية: 9.

(13) علم البديع، مرجع سابق، ص: 58.

(14) علم البديع، مرجع سابق، ص: 58 - 59.

نحو قوله **تَعَلَّقَى** (وَمَا مَكَرًا وَمَكَرًا نَا مَكَرًا) (1).

وعرّفها ابن رشيق القيرواني: "هي ترتيب الكلام على ما يجب فيعطي أول الكلام ما يليق به أولاً وآخره ما يليق ويؤتي في الموافق بما يوافقه وفي المخالف بما يخالفه وأكثر ما تجيء المقابلة في الأضداد.

ومن تلك التعاريف يمكن القول بأن المقابلة هي: أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة ثم بما يقابلها أو يقابلها على الترتيب.

أنواع المقابلة:

1/ مقابلة اثنين باثنين: نحو قوله **تَعَلَّقَى يَضْحَكُوا قَلِيلاً وَيَبْكُوا كَثِيراً** (2).

2/ مقابلة ثلاثة بثلاثة: نحو قوله **وَتَعْطِلُونَ (لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُدْرِمُ عَلَيْهِمُ الذُّبَابُ)** (3).

3/ مقابلة أربعة بأربعة: نحو قوله **تَعَلَّقَى (مَا مَنَ أَعْطَى وَاتَّقَى \* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى \* فَسَنِيَّسِرُ هَوْلًا \* وَأَمَّا مَنَ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى \* وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى \* فَسَنِيَّسِرُهُ لِلْعُسْرَى)** (4).

وكقول جرير:

وباسط خير فيكم بيمينه \* وقابض شر عنكم بشماله (5)

المطلب الثالث: المبالغة:

إذا نظرنا إلى المبالغة من الناحية التاريخية فإننا نجد أن عبد الله بن المعتز هو أول من تحدث عنها فقد عدها في كتابه البديع من محاسن الكلام والشعر وعرفها بأنها "الإفراط في الصفة" ومثل لها:

تبكى السماوات إذا ما دعا \* وتستعيز الأرض من سجدته  
إذا اشتهي يوماً لحوم القطا \* صرعا في الجو من نكهته (6)

وعرف المبالغة بأنها: أن يذكر الشاعر حالاً من الأحوال في شعر لو وقف عليها لأجزاه ذلك في الغرض الذي قصده فلا يقف حتى يزيد في مضي ما ذكره من تلك الحال".

كقول عمير الثقفي:

ونكرم جارنا ما دام فينا \* ونتبعه الكرامة حيث كانا

(1) سورة النمل، الآية: 50.

(2) سورة التوبة، الآية: 82.

(3) سورة الأعراف، الآية: 157.

(4) سورة الليل، الآيات: 6 - 10.

(5) جواهر البلاغة، مرجع سابق، ص: 304.

(6) علم البديع، مرجع سابق، ص: 63.

فإكرامهم للجار ما كان فيهم من الأخلاق الجميلة الموصوفة واتباعهم الكرامة حيث كان من المبالغة.

نجد أن أبو هلال العسكري عرفها بأنها: "أن تبلغ بالمعنى أقصى غاياته وأبعد نهاياته ولا تقتصر في العبارة عنه على أدنى منزلة وأقرب مراتبه".<sup>(1)</sup>

ولها تعريف آخر: هي أن يدعي المتكلم لوصف بلوغه في الشدة أو الضعف حداً مستبعداً أو مستحيلاً.<sup>(2)</sup>

وتنحصر في ثلاثة أنواع:

1/ **إتبليغ**: إن كان ذلك الإدعاء ممكناً عقلاً وعادة نحو قوله تعالى:

**ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا**.<sup>(3)</sup>

2/ **إغراق**: إن كان الإدعاء ممكناً عقلاً لأعاده.

ونكرم جارنا ما دام فينا \* \* \* ونتبعه الكرامة حيث كانا

3/ **غلو**: إن كان الإدعاء مستحيلاً عقلاً وعاده.

تكاد تحسبه من غير رام \* \* \* تمكن في قلوبهم النبالات

**المطلب الرابع: التورية:**

بمعنى الإبهام والتوجيه والتخيير وهي مصدر م وري ويقول وريت الخبر إذا جعلته ورائي وسترته كأن المتكلم يجعله وراءه.

وعرفها صلاح الدين بن أبي الأصبع بأنها: هي أن يكون الكلام يحتمل معنيين فيستعمل المتكلم أحد احتماليهما ويهمل الآخر، ومراده ما أهمله لا استعمله.

وصلاح الدين الصفدي يعرفها: هي أن يطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد وهي ضربان مرشحة ومجردة.

والتورية هي أن يذكر المتكلم لفظاً مفرداً له معنيان حقيقيان أو حقيقة ومجاز أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفيه فيريد المتكلم المعنى البعيد ويورى عنه بالمعنى القريب فيتوهم السامع أول وهلة أن يريد القريب.

ومن أمثلتها: قول سراج الدين الوراق:

أصون أديم وجهي عن أناس \* \* \* قاء الموت عندهم الأديب

(1) علم البديع، مرجع سابق، ص: 64.

(2) جواهر البلاغة، مرجع سابق، ص: 312 - 313.

(3) سورة النور، الآية: 40.

ورب الشعر عندهم بغيض \*\* ولو وافى به لهم حبيب  
وكقوله:

أبيات شعر كالقصر \*\* سور ولا قصور بها يعوق<sup>(1)</sup>  
ومن العجائب لفظها \*\* حُرر ومعناها رقيق

كقول بدر الدين الذهبي:

يا عاذلي فيه فأبني \*\* إذا بدا كيف أسألو  
يمر بي كل وقت \*\* ولكما "مر" يحلو

فالتورية في كلمة "مر" لها معنيين: أحدهما قريب وهو مأخوذ من  
المرارة والآخر قريب ظاهر وهو غير المراد وهو مأخوذ من المرور وهذا  
هو المعنى البعيد الذي يريده الشاعر.<sup>(2)</sup>

قول بدر الدين:

جودوا لنسجع بالمدي \*\* ح على علاكم سرمد  
فالطير أحسن ما تغر \*\* د عندما يقع الندى

فالتورية في كلمة الندى فمعناها القريب الظاهر غير المراد هو ما  
يسقط آخر الليل من بلل ومطر خفيف بدليل التمهيد له بذكر الطير والتغريد  
والوقوع ومعناها البعيد هو الجود وهو المراد.

أنواع التورية:

للتورية أربعة أنواع:

1/ التورية المجردة: هي التي لم يذكر فيها لازم من لوازم المورى به  
وهو المعنى الريب ولا من لوازم المورى عنه.<sup>(3)</sup>

مثل قوله العرّاء **بَنُ عَلَى الأَعْرُشِ اسْتَوَى**<sup>(4)</sup>، فالتورية في كلمة  
استوى ولها معنيان أحدهما الاستقرار في المكان وهو القريب، والآخر بعيد  
بمعنى الاستيلاء والملك وهو المورى عنه.

قول النبي صلى الله عليه وسلم في خروجه إلى بدر وقد قيل له ممن  
أنتم؟ فقال: "من ماء" وأراد إنا مخلوقون من ماء فورى عنه بقبيلة من العرب  
يقال لها ماء.

(1) جواهر البلاغة، مرجع سابق، ص: 301.

(2) علم البديع، مرجع سابق، ص: 87.

(3) المرجع السابق، ص: 88 - 89.

(4) سورة طه، الآية: 5.

2 التورية المرشحة: هي التي يذكر فيها لازم من لوازم المورّى به وسميت مرشحة لتقويتها بذكر لازم المورّى به ويذكر اللازم قبل لفظ التورية وأحياناً بعده.

أ/ القسم الأول: قبل لفظ التورية، مثل قوله تعالى **بِئْسَ مَا بَدَّيْنَاهَا بِأَيْدٍ** (1).

فأيد تحتمل اليد الجارحة وهذا هو المعنى القريب المورّى به، وذكر من جانبه من جهة الترشيح (البنيان) وهو يحتمل القوة وعظمة الخالق.

ب/ القسم الثاني: بعد لفظ التورية: هو ما ذكر فيه لازم المورّى به بعد لفظ التورية، ومن أمثله:

قول الشاعر:

مذ همت من وجدي في خالها \*\* لم أصل منه إلى اللمم  
قالت: قفوا واستمعوا ما جرى \*\* خالي قد هام به عمى

فلفظة ظلها تحتمل خال النسب وهو المعنى المورّى به وقد ذكر لازمه بعد لفظ التورية.

3 التورية المبنية: هي ما ذكر فيها لازم المورّى عنه قبل لفظ التورية أو بعده فهي قسمان:

أ/ القسم الأول: ما ذكر لازم المورّى به قبل لفظ التورية.

كما قال البحري:

وراء تسديه الوشاح ما يهه \*\* بالحسن تملح في القلوب وتعذب  
فالشاهد في (تملح) فإنه يحتمل أن يكون من الملوحة التي هي ضد العذوبة هذا هو المعنى القريب المورّى به (2).

ومن الشواهد أيضاً قول شرف الدين:

قالوا: أما في جلق نزهه \*\* تنسيك من أنتابهُ مغرى  
يا عاذلي دونك من لحظه \*\* سهماً ومن عارضه سطرًا

فالشاهد في موضعين وهما (السهم والسطر) فإن المعنى البعيد هما الموضعان المشهوران والمعنى القريب سهم للحظ واطر العارض.

ب/ القسم الثاني: ذكر لازم المورّى عنه بعد لفظ التورية ومن أمثله البديعية قول الشاعر:

أرى ذنب السرحان في الأفق طالعا

فهل ممكن أن الغزالة تطلع

(1) سورة الذاريات، الآية: 47.

(2) علم البديع، مرجع سابق، ص: 90.

فالببت فيه توريتان "ذنب السرحان" فإنه يحتمل ضوء النهار وهذا هو المعنى البعيد المورّى عنه وهو مراد الشاعر وقد بينه بذكر لازمه، والتورية الثانية في الغزاة: فإنه يحتمل أن يكون المراد الشمس.

4/ التورية المهيأة: هي التي لا تقع فيها التورية إلا باللفظ الذي قبلها أو باللفظ الذي بعدها أو تكون التورية في لفظين لولا كل منها لما تهيأت التورية في الآخر.

فالتورية المهيأة على هذا الاعتبار ثلاثة أقسام:

1/ القسم الأول: هو الذي تتهيأ فيه التورية من قبل، واستشهدوا على ذلك بقوله:

وسيرك فينا سيرة عمريه \* \* فروحت عن قلبي وأخرجت عن كرب  
وأظهرت فينا من سيك سنك \* \* فأظهرت ذاك الغرض من ذلك الندب

فالشاهد في (الغرض والندب) وهما يحتملان أن يكونا من الأحكام الشرعية وهذا هو المعنى القريب المورّى به ويحتمل أن يكون الغرض بمعنى العطاء.

ب/ القسم الثاني: هو الذي تتهيأ فيه التورية بلفظة من بعده، ومن أمثاله نثراً قول الإمام علي: "إنه كان يحوك الشمال باليمين".

فالشمال يحتمل أن يكون جمع شمله وهي الكساء، ويحتمل أن يراد بها الشمال التي هي إحدى اليدين ونقيض اليمين.

ج/ القسم الثالث: من التورية المهيأة وهو الذي تقع التورية في لفظين ولولا كل مهما لما تهيأت التورية، واستشهدوا على ذلك:

يها المنكح الثرياً سهيلاً \* \* عمرك الله كيف يلتقيان  
هي شامية إذا ما استقلت \* \* وسهيل إذا استقل يماني

فموضع الشاهد هو "الثريا وسهيل" فإن الثريا يحتمل أن يكون الشاعر أراد بها بنت علي بن عبد الله بن الحارث ويحتمل أن يكون النجم المعروف بسهيل.<sup>(1)</sup>

المطلب الخامس: المشاكلة:

هي أن يذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته

لقولك تعلم ألي: (في نفسري ولا أعلم ما في نفسك).<sup>(2)</sup>

المراد ولا أعلم ما عندك وعبر بالنفس للمشاكلة.

(1) علم البديع، مرجع سابق، ص: 91 - 93.

(2) سورة المائدة، الآية: 116.



وقوله تعالى: (اللَّهِ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ) (1).

أهملهم ذكر الإهمال هنا بلفظ النسيان لوقوع في صحبته.

وكقول الشاعر:

من مبلغ أبناء يعرب كلها \*\* أني بنيت الجار قبل المنزل

وقوله:

إلا لا يجهلن أحداً علينا

فجهل فوق جهل الجاهلينا

المطلب السادس: المزوجة:

هي أن يزواج المتكلم بين معنيين في الشرط والجزاء بأن يرتب على

كل منهما معنى رتب عن الآخر (2).

كقوله:

إذا ما نهى الناهي فلج بي الهوى

أصاغت إلى الواشي فلج الهجر

زواج بين النهى والإصاغة في الشرط والجزاء بترتيب اللجاج عليهما.

لقوله:

إذا احتربت يوماً ففاضت دماؤها

نذكرت القربى ففاضت دموعها

زواج بين الاحتراب (التحارب) وتذكر القربى في الشرط والجزاء

بترتيب الفيض عليهما.

المطلب السابع: التقسيم:

التقسيم تعريفه: هو أن يذكر متعدد ثم يضاف إلى كل من أفراد ما له

على جهة التعيين (3).

التقسيم فن من فنون البديع المعنوي، وهو في اللغة مصدر قسمت

الشيء إذا جزأته.

اصطلاحاً: فاختلفت فيه العبارات والكل راجع إلى مقصود واحد ومن

أوائل من عرض له أبو هلال العسكري فسره بقوله: "التقسيم الصحيح أن

يقسم الكلام قسمه مستوية تحتوى على جميع أنواعه، ولا يخرج منها جنس من

(1) سورة الحشر، الآية: 19.

(2) جواهر البلاغة، مرجع سابق، ص: 309.

(3) المرجع السابق، ص: 311.

أجناسه، فمن ذلك قولهُ **وَتَعَالَىٰ ذِي الْبُرْقِ** (يُرِيكُمْ الْبُرْقَ ذَوْفًا وَطَمَعًا)<sup>(1)</sup>، وهذا أحسن تقسيم لأن الناس عند رؤية البرق بين خائف وطامع، وليس فيهم ثالث، وقد قدم الخوف على الطمع لن الأمر المخوف من البرق في أول برقه والأمر المطمع إنما يقع من البرق بعد الأمر المخوف وذلك ليكون الطمع ناسخاً للخوف لمجيء الفرج بعد الشدة.

عرفه السكاكي بقوله: هو أن تذكر شيئاً ذا جزأين أي أكثر ثم تضيف إلى كل واحد من أجزائه.<sup>(2)</sup>

التقسيم أيضاً استيفاء المتكلم أقسام الشيء، بحيث لا يغادر شيئاً ومنه الآية الكريمة التي اعتاد عملاء البديع أن يستشهدوا بها وهي قوله تعالى: **يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِمَّا ذَكَرَ الْأُنثَىٰ أَوْ يَزُوجَهُمْ ذَكَرَ الْأُنثَىٰ وَ يَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا**.<sup>(3)</sup>

قسم سبحانه حال الزوجين إلى أربعة أقسام اشتمل عليها الوجود، لأنه سبحانه إما أن يفرد العبد بهبة الإناث، أو بهبة الذكور، أو يجمعهما له، أو لا يهب شيئاً.

وجاءت كل عطية بلفظ الهبة، وتدرج فيها من الأدنى للأعلى. فبدأ بهبة الإناث، ثم هبة الذكور ثم هبتهما معاً.

وعدل عن لفظ الهبة إلى لفظ آخر هو "ويجعل" لما فيه من معاني الحرمان فكان هذا العدول للتغاير بين المعاني.

وبدأ بالإناث: إما جبراً لهن لاستئصال الأبوين لمكانهن، أو لضعفهن وعند الضعف والعجز تكون العناية أتم، أو أنه قد ذكر ما كانت توفره الجاهلية من أمر البنات حتى كانوا يندوهن، أي هذا النوع الحقيق عندكم مقدم عندي في الذكر، تأمل كيف عرف سبحانه الذكور بعد تكثير الإناث، فجبر نقص الأنوثة بالتقديم وجبر نقص المتأخر بالتعريف تنويه.

ومن التعريفات والأمثلة السابقة يمكن القول بأن التقسيم يطلق على أمور أحدها: استيفاء جميع أقسام المعنى، وقد ينقسم المعنى إلى اثنين لا ثالث لهما، أو ثلاثة لا رابع لها، أو أربعة لا خامس لها، وهكذا...

(1) سورة الرعد، الآية: 12.

(2) علم البديع، د. عبد العزيز عتيق، دار الأفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1427هـ - 2006م، ص: 94.

(3) سورة الشورى، الآيات: 49 - 50.

ومن تقسيم المعنى إلى اثنين لا ثالث لهما، بالإضافة إلى بعض الأمثلة السابقة. قول ثابت البناني: "الحمد لله واستغفر الله"، ولما سئل: لم خصهما؟ قال: لأنني بين نعمة وذنوب، فأحمد الله على النعمة، واستغفره من الذنوب.

ومنه قول الشماخ يصف صلابة سنايك الحمار:  
متى ما تقع أرساغه مطمئنة \*\* على حجر يرفض أو يتدحرج  
فالواطء الشديد إذا صادف الموطؤ رخواً ارفض وتفرق منه، أو صلباً  
تدحرج عنه، ولهذا لما يبق الشماخ قسماً ثالثاً.

ومن تقسيم المعنى إلى ثلاثة لا رابع لها قول زهير:  
فإن الحق مقطعه ثلاث \*\* يمين أو نفار أو جلاء  
فذلكم مقاطع كل حق \*\* ثلاث كلهن لكم شفاء  
وكان عمر رضي الله عنه يتعجب من صحة هذا التقسيم ويقول: "لو أدركت زهيراً لوليتَه القضاء لمعرفته".

ومن قول نصيب:  
فقال فريق القوم: لا: وفريقهم: \*\* نعم، وفريق قال: ويحك ما تدري  
فليس في أقسام الإجابة عن المطلوب إذا سئل عنه غير هذه الأقسام الثلاثة. وقول عمر بن أبي ربيعة:  
وهبها كشيء لم يكن أو كنازح \*\* به الدار أو من غيبته المقابر  
فلم يُبق ابن أبي ربيعة مما يعبر به عن إنسان مفقود قسماً إلا أتى به في هذا البيت.

وقول زهير:  
وأعلم ما في اليوم والأمس قبله \*\* ولكني عن علم ما في غد عم  
فالبيت جامع لأقسام الزمان الثلاثة ولا رابع لها.  
والأمر الثاني الذي قد يطق التقسيم عليه يتمثل فذكر أحوال الشيء مضافاً إلى كل حالة ما يلائمها ويليق بها. ومن أمثلة ذلك قول أبي الطيب المتنبّي:  
سأطلب حقي بالقنا ومشايخ \*\* كأنهم مذ طول ما التثموا مرد  
تقال إذا لاقوا خفاف إذا دعوا \*\* كثير إذا شدوا قليل إذا عدوا<sup>(1)</sup>  
فالشاعر قد أضاف هنا إلى كل حال ما يلائمها، بأن أضاف إلى الثقل حال ملاقاتهم الأعداء، وإلى الخفة حال دعوتهم إلى الحرب، وإلى الكثرة حال شدهم وهجومهم على الأعداء في الحرب، وإلى القلة حال عدّهم وإحصائهم لنهم إذا غلبوا أعداءهم في قلة عددهم، كان هذا أفخر لهم من الكثرة.

(1) علم البديع، ج 1، مرجع سابق، ص: 96 - 97.

ومنه قول طرح الثقفي:

إن يسمعوا الخير يخفوه وإن سمعوا \*\* شراً أذاعوا، وإن لم يسمعوا كذبوا  
فهنا أضاف الشاعر إلى سماع الخير حاله إخفائه، وإلى سماع الشر حالة  
إذاعته وإلى عدم سماعهم خيراً أو شراً حاله الكذب.

والأمر الثالث الذي قد يطلق التقسيم عليه يتمثل في تقطيع، ويقصد به  
تقطيع ألفاظ البيت الواحد من الشعر إلى أقسام تمثل تفعيلاته العروضية أو إلى  
مقاطع متساوية في الوزن. ويسمى التقسيم حينئذٍ "التقسيم بالتقطيع".

ومن أمثلة ذلك وهو من بحر الطويل قول المتنبي:  
فيا شوق ما أبقي ويا لي من النوي \*\* ويا دمع ما أجرى ويا قلب ما أصبا  
قد جاء المتنبي بهذا البيت مقسماً على تقطيع الوزن، كل لفظتين ربع  
بيت.

ومن بحر الخفيف قول البحرني:  
ف مشوقاً أو حزيناً \*\* معيناً أو عاذراً أو عدولاً  
فالبيت هنا مقسم إلى ستة مقاطع كل واحد منها يمثل تفعيله من تفعيلات  
بحر الخفيف.

ومن التقسيم نوع يقال له "تقسيم الضد" ويكون بجعل كل شيء مع  
ضده، كقول العباس بن الأحنف:  
وصالكمو صوم، وحكمو قلى \*\* وعظمو صد، وسلمكمو حرب  
عيوب التقسيم:

والتقسيم إذا استوعب جميع أقسام المعنى أو جميع أحواله فهو التقسيم  
الصحيح الذي يعد من فنون البديع المعنوي، ولكن التقسيم قد يعتريه بعض  
أمر تفسده وتنقص من قيمته، ومن ذلك:

1/ عدم استيفاء كل أقسام المعنى، كقول جرير:  
صارت حنيفه أثلاثاً فتلثمهم \*\* من العبيد وتلت من موالينا  
فهو بعد أن ذكر أنهم ثلاثة ذكر قسمين وسكت عن الثالث، فالقسمة هنا  
ردئية قيل: إن جريراً أنشد هذا البيت ورجل من حنيفه حاضر، فقيل له: من  
أي قسم أنت؟ فقال: من التلثم الملغى ذكره!

ومن هذا النوع أيضاً قول ابن القربة: "الناس ثلاثة: عاقل، وأحمق، وفاجر" فإنه القسمة هنا رديئة لعدم استيفاء أقسامها؛ لأن الفاجر يجوز أن يكون أحمق ويجوز أن يكون عاقلاً والعاقل يجوز أن يكون فاجراً، وكذلك الأحمق.<sup>(1)</sup>

2/ دخول أحد القسمين في الآخر، كقول أمية بن أبي الصلت:

لله نعمتنا تبارك ربنا \* \* ب الأنام ورب من يتأبد  
فالقسمة هنا فاسدة لأن "من يتأبد ويتوحش" داخل في "الأنام".

وكقول آخر:

فما برحت تومي إليك بطرفها \* \* وتومض أحياناً إذا طرفها غفل  
فالقسمان في البيت متداخلان لأن "تومي وتومض" واحد، كقول جميل:  
لو كان في قلبي كقدر قلامه \* \* حباً وصلتك أو أتتك رسائلي  
فالببيت يوهم بالتقسيم، ولكنه كذلك لأن إتيان الرسائل داخل في الوصل.

المطلب الثامن: الالتفات:

لعل الأصمعي "214هـ" أول من ذكر "الالتفات" فقد حكى عن إسحاق الموصلي أنه قال: قال الأصمعي: أتعرف التفات جرير؟ قلت: وما هو؟ فأشددني قوله:

أتنسى إذ تودعنا سليمي \* \* بعد باشمه؟ سقى البشام  
أما تراه مقبلاً على شعره إذ التقت إلى البشام فذكره فدعا له.

وقد عد ابن المعتز "الالتفات" من محاسن الكلام وبديعه، فعرفه ومثله له بعدة أمثلة من القرآن الكريم والشعر ففي تعريفه له يقول: "الالتفات هو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار، وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك. ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر"، ثم مثل لانصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار أو بعبارة أخرى لانصرافه عن الخطاب إلى الغيبة بقوله **وَتَعَلَّانِي (يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِ يَحْمِلُكُمْ جُرَيْرِينَ طَيْبَةً وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْتُ مِنْ ظُهُورِهِمْ فَدَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ)**.<sup>(2)</sup>

فالالتفات في الآية الكريمة في قوله **إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِ وَجُرَيْرِينَ** بهم **بِرِّ يَحِ طَيْبَةً**، وعن هذا الالتفات يقول ابن الأثير فإنه إنما صرف الكلام ههنا من الخطاب إلى الغيبة لفائدة، وهي أنه ذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها

(1) علم البديع، مرجع سابق، ص: 98 - 99.

(2) سورة يونس، الآية: 22.

المخبر لهم ويستدعي منهم الإنكار عليهم ولو أنه قال: إذ كنتم في الفلك وجريين بكم بريح طيبة وفرحتم بها، وساق الخطاب معهم إلى آخر الآية لذهبت تلك الفائدة التي أنتجها خطاب الغيبة.<sup>(3)</sup>

ومثل ابن المعتز كذلك لانصراف المتكلم عن الإخبار إلى المخاطبة، أو بعبارة أخرى لانصرافه عن الغيبة إلى خطاب بقول جرير:

طرب الحمام بذي الأراك فشاقتني \*\* زلت في عآل وأيك ناضر

فجرير قد أخبر عن الغائب في الشطر الأول هو "الحمام" ولكنه في الشطر الثاني انصرف عن الاستمرار في خطاب هذا الغائب والتفت إلى مخاطبته بقوله: "لازلت في علل وأيك ناضر" لزيادة فائدة في المعنى هي الدعاء للحمام.

أما النوع الثالث من الالتفات عند ابن المعتز وهو انصراف المتكلم عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر فقد مثل له بقول أبي تمام:

وأندتمو من بعد اتهام داركم \*\* فيما دم أنجدني على ساكني نجد

فالشاعر وهو المتكلم هنا - يخبر من يخاطبهم بأنه يعلم أنهم قد اتخذوا دارهم في نجد بعد أن كانت في تهامه، ثم لانصراف أو يلتفت بعد ذلك معنى آخر يتمثل في دعاء الدمع ومطالبته بأن يسعفه على ساكني نجد.

وجاء قدامة بن جعفر بعد ابن المعتز فعد الالتفات من نعوت المعاني وعرفه بقوله: "الالتفات أن يكون الشاعر أخذاً في معني فيعترضه إما لشك فيه أو ظن بأن رادا يرد عليه قول، أو سائلاً يسأله عن سبب فيعود راجعاً إلى ما قدمه، بمعنى يلتفت إليه بعد فراغه فإما أن يذكر سببه أو يجلي الشك فيه"، ومن أمثل ذلك عنده قول المعطل الهذلي:

تبين صلاة منا ومنهمو \*\* إذا ما التقينا والمسالم بادن

فقوله والمسالم بادن رجوع عن المعنى الذي قدمه حين بين أن علامة "صلاة الحرب" من غيرهم أن المسالم يكون بادناً والمحارب ضامراً.

ومن يقارن مفهوم "الالتفات" عند ابن المعتز وقدامة، ثم يتابع مفهومه عند غيرهم من أمثال أبي هلال العسكري، وابن رشيق، وفخر الدين الرازي والسكاكي، يجد أن منهم من يستوحي مفهوم الالتفات عند ابن المعتز أو قدامه، ومنهم من يخلط بين هذا الفن البديعي والاعتراض. وخير من عرض لموضع الالتفات في نظرنا هو ضياء الدين بن الأثير فقد عالجه بوضوح وفهم لأسراره

<sup>(3)</sup> علم البديع، ط1، مرجع سابق، ص: 100 - 101.

البلاغية ولهذا أثرنا أن ننقل هنا خلاصة كلامه عن الالتفات توضح حقيقته ووظيفته البلاغية وتجنبنا الخلط الكثير الذي وقع فيه غيره من البلاغيين.<sup>(4)</sup>

يستهل ابن الأثير كلامه، عن هذا الفن من فنون البديع المعنوي ببيان حقيقته فيقول: "وحقيقته مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه وشماله فهو يقبل بوجهه تارة وتارة كذا، وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة لأنه ينتقل فيه عن صيغة إلى صيغة كالانتقالات من خطاب حاضر إلى غائب أو من خطاب غائب، إلى حاضر، أو من خطاب غائب إلى حاضر أو من فعل ماض إلى مستقبل، أو من مستقبل إلى ماض أو غير ذلك مما يأتي ذكره مفصلاً ويسمى أيضاً "شجاعة العربية" وإنما سمي بذلك لأن الشجاعة هي الإقدام وذلك أن الرجل الشجاع يركب ما لا يستطيعه غيره ويتورد ما لا يتورده سواه، وكذلك هذا الالتفات في الكلام، فإنه اللغة العربية تختص به دون غيرها من اللغات".

أقسام الالتفات:

ثم يقسم ابن الأثير الالتفات ثلاثة أقسام هي:

1/ القسم الأول: في الرجوع من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة.

2/ القسم الثاني: في الرجوع عن الفعل المستقبل إلى فعل الأمر، وعن الفعل الماضي إلى فعل الأمر.

3/ القسم الثالث: في الإخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل وعن المستقبل بالفعل الماضي.

وفيما يلي خلاصة لكلام ابن الأثير عن كل قسم من هذه الأقسام:

1/ فعن القسم الأول هو الخاص بالرجوع من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة، يورد ابن الأثير أولاً، بعض علماء البلاغة في السبب الذي قصدت العرب إليه من وراء استعمال هذا الأسلوب، ثم يعقب عليها برأيه، فعامة المنتميين إلى هذا الفن إذا سئلوا عن الانتقال عن الغيبة إلى الخطاب وعن الخطاب إلى الغيبة قالوا: كذلك كانت عادة العرب في أساليب كلامهم وهذا القول عنده عكاز العميان كما يقال.

كذلك لم يرتض جواب الزمخشري عن هذا السؤال، بأن الرجوع من الغيبة إلى الخطاب إنما يستعمل للتفنن في الكلام والانتقال من أسلوب إلى أسلوب؛ تطريه لنشاط السامع وإيقاظاً للإصغاء إليه.

<sup>(4)</sup> علم البديع، مرجع سابق، ص: 101 - 102.

وعند ابن الأثير أن الالتفات من الخطاب إلى الغيبة أو من الغيبة إلى الخطاب لا يكون إلا لفائدة اقتضته تلك الفائدة أمر وراء الانتقال من أسلوب إلى أسلوب غير أنها لا تحد بحد ولا تضبط بضابط، لكن يشار إلى مواضع منها ليقاس عليها غيرها، فالانتقال من الغيبة إلى الخطاب قد يكون الغرض منه تعظيم شأن المخاطب وقد يستعمل ذات الغرض للضد، أي للانتقال من الخطاب إلى الغيبة، ومن ذلك يفهم أن الغرض الموجب لاستعمال الالتفات لا يجري على وتيرة واحدة وإنما هو مقصور على العناية بالمعنى المقصود وذلك المعنى يتشعب شعباً كثيرة لا تنحصر، وإنما يؤتي بها على حسب الموضوع الذي ترد فيه وفي الأمثلة التالية توضيح ذلك<sup>(5)</sup>:

أ/ فمن الالتفات بالرجوع والعدول عن الغيبة إلى الخطاب قوله تعالى: **وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا قَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا**<sup>(6)</sup>، وإنما قيل **قَدْ جِئْتُمْ** وهو خطاب للحاضر بعون **قَالُوا** **اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا** وهو خطاب للغائب لفائدة حسنة، وهي زيادة التسجيل على قائل هذا القول بالجرأة على الله، والتعرض لسخطه، وتنبيهه لهم على عظم ما قالوه، كأنه يخاطب قوماً حاضرين بين يديه منكرات عليهم وموبخاً لهم.

ومن هذا النوع أيضاً إلى من الالتفات بالرجوع أو العدول عن الغيبة إلى الخطاب قول القاضي الأرجاني:

وهل هي إلا مهجه يطلبونها؟ \*\* فإن أرضت الأحباب فهي لهم فدى  
إذا رمتمو قتلي وأنت أحبتي \*\* فمذا الذي أخشى إذا كنتمو عدى؟

فالبيت الثاني قد جاء وهو خطاب للحاضر بعد البيت الأول وهو خطاب للغائب فالعرض البلاغي من وراء الالتفات بالعدول عن الاستمرار في الإخبار عن الغائب إلى مخاطبته هو تمثيل أحبابه الغائبين في البيت الأول كأنهم حاضرون أمامه ليقرعهم ويلومهم على عدم معاملته بالمثل. وذلك بالمقابلة بين مشاعرهم نحوه: هو على أتم استعداد لأن يفديهم بمهجته إن أرضاهم ذلك، وهم يرمون قتله بالتمادي في هجرانه والإعراض عنه كما لو كان عدواً لهم ومما ينخرط في هذا المسلك الالتفات بالرجوع من خطاب الغيبة إلى خطاب النفس كقولهم **عَلَى تَوَلَّى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا** **وَالْأَرْضُ** **إِنِّيَأَ طَرَوْهُ عِلْقًا أَوْ تَأْتِيَنَا طَائِعِينَ** \* **فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَا السَّفِيَاءَ بِالصُّبْحِ وَحَفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**.<sup>(7)</sup>

(5) علم البديع، مرجع سابق، ص: 102 - 103.

(6) سورة مريم، الآيات: 88 - 89.

(7) فصلت، الآيات: 11 - 12.



فالآية مثال للاتفات بالعدول عن الغيبة إلى خطاب النفس فإنه قال  
(وَزَيَّنَّا) بعد قوله ﴿اسْتَوَى﴾ وقوله ﴿قَضَاهُنَّ﴾ (وَأَوْحَى).<sup>(8)</sup>

والفائدة في ذلك أن طائفة من الناس غير المتشرعين يعتقدون أن  
النجوم ليست في سماء الدنيا، وأنها ليست حفظاً ولا رجوماً، فلما صار الكلام  
إلى ههنا عدل به عن خطاب الغائب إلى النفس؛ لأنه مهمه ومن مهمات  
الاعتقاد وفيه تكذيب للفرقة المكذبة المعتمدة بطلانه.

ومن الالتفات بالرجوع أو العدول عن مخاطبة النفس إلى مخاطبة  
الجماعة قوله ﴿تَعَالَى﴾ (لَا أَعْبُدُ إِلَّا فَطْرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)<sup>(9)</sup>، وإنما  
صرف الكلام عن خطاب نفسه إلى خطابهم، لأنه أبرز الكلام لهم في معرض  
المناصحة وهو يريد مناصحتهم يستأنف بهم ويداريهم لأن ذلك أدخل في  
إمحاء النصح حيث لا يريد لهم إلا ما يريد لنفسه وقد وضح قوله ﴿مَا لِي لَا  
أَعْبُدُ إِلَّا فَطْرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ مكان قوله (ما لكم لا تعبدون الذي فطركم)  
بدليل قوله ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ولا أنه قصد ذلك لقال "الذي فطرنى وإليه  
أرجع".

ب/ ومن الالتفات بالرجوع أو العدول عن الخطاب إلى الغيبة قوله  
تعالى ﴿لَنْ نَبْرِيَنَّكَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي  
نُ بِالْيَقِينِ مَوَ كَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.<sup>(10)</sup>

فإنه إنما قلنا ﴿آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ ولم يقل (فآمنوا بالله  
وبي) عطفاً على ﴿قُلِّي﴾ (رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا) لكي تجري عليه  
الصفات التي أجريت عليه وليعلم أن الذي وجب الإيمان به والاتباع  
هو هذا الشخص الموصوف بأنه النبي الأمي الذي يؤمن بالله  
وبكلماته كائنًا من كان أنا أو غيري إظهاراً للنصفه وبعداً عن  
التعصب فقرر أولاً في صدر الآية أني رسول الله إلى الناس ثم  
أخرج كلامه من الخطاب إلى معرض الغيبة لغرضين: الأول منهما  
إجراء تلك الصفات عليه، والثاني الخروج من تهمة التعصب.

ومن هذا النوع أي من الالتفات بالرجوع أو العدول عن الخطاب إلى  
الغيبة قول ابن النبيه:

من سحر عينيك الأمان الأسان \* \* قتلت ربّ السيف والطيلسان  
أسمر كالرماح له مقلّة \* \* لو لم تكن كحلاء كانت سنان

(8) علم البديع، مرجع سابق، ص: 104 - 105.

(9) سورة يس، الآية: 22.

(10) سورة الأعراف، الآية: 158.

فقد عدل عن الخطاب في البيت الأول إلى الغيبة في البيت الثاني لغرض بلاغي، قد يكون التفنن في الأسلوب وقد يكون التمكن من بناء التشبيه الذي يشبه فيه القوام بالرمح، مع المحافظة على سلامة الوزن الشعري.

والقسم الثاني من الالتفات هو الخاص بالرجوع أو العدول عن الفعل المستقبل إلى فعل الأمر، وعن الفعل الماضي إلى فعل الأمر.

ويقول ابن الأثير إن هذا القسم كالذي قبله، في أنه ليس الانتقال فيه من صيغة إلى طلباً للتوسع في أساليب الكلام فقط بل الأمر وراء ذلك. وإنما يقصد إليه تعظيماً لحال من أجرى عليه الفعل المستقبل وتفخيماً لأمره، وبالضد من ذلك فيمن أجرى عليه فعل الأمر.

ومن الالتفات بالرجوع أو العدول عن الفعل الماضي إلى فعل الأمر بغرض التوكيد لما أجرى عليه فعل الأمر لمكان العناية بتحقيقه قوله تعالى: **قِيلَ يَا قَوْمِ أَوَلَمْ نُنزِلْ فِيكُمُ الْمَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِيُحْيُوا الْأَرْضَ بَعْدَ وَحْيِنَا وَاتَّبِعُوا أَوْامِرَ رَبِّكُمْ وَاتَّقُوا يَوْمَ تُدْعَوْنَ لِلْعَذَابِ فَوَقِفُوا فِيهَا صُفُوفًا تُبَوِّئُونَ الْمُخَلَّفِينَ بِأَعْقَابِكُمْ لِلْيَوْمِ الَّذِي تَدْعُونَ فِيهِ لِلَّذِينَ خَلَّفْتُمُ الْأَرْضَ أَن يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّكُمْ مُعَذِّبُونَ** (11).

وكان تقرير الكلام: أمر بي بالقسط وإقامة وجوهكم عند كل مسجد فعدل عن ذلك بالالتفات إلى فعل الأمر للعناية بتوكيده في نفوسهم، فإن الصلاة من أوكد فرائض الله على عباده، ثم أتبعها بالإخلاص الذي هو عمل القلب إذ عمل الجوارح لا يصلح إلا بخلاص النية وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنما الأعمال بالنيات".

أما القسم الثالث والأخير من أقسام الالتفات فهو الخاص بالإخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل وعن المستقبل بالفعل الماضي.

فالأول هنا هو الإخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل: وبيان ذلك أن الفعل المستقبل إذا أتى في حالة الإخبار عن وجود الفعل كان ذلك أبلغ من الإخبار بالفعل الماضي والسبب في ذلك أن الفعل المستقبل يوضح الحال التي يقع فيها، ويستحضر تلك الصورة حتى كأن السامع يشاهدها وليس كذلك الفعل الماضي. (12)

وليس كل فعل مستقبل يعطف على ماضٍ يجري هذا المجري وتفصيل ذلك أن عطف المستقبل على الماضي ينقسم إلى ضربين أحدهما بلاغي وهو إخبار عن الفعل الماضي بمستقبل، والآخر ليس بلاغياً، وليس إخباراً عن فعل ماضي لمستقبل وإنما هو مستقبل دل على معنى مستقبل غير ماضٍ ويراد به أن ذلك الفعل مستمر الوجود لم يمض.

(11) سورة الأعراف، الآية: 29.  
(12) علم البديع، مرجع سابق، ص: 106

فالضرب الأول كقولهم **وَتَلَّالِيهِ: (الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ يَبْحَثُ فِي سَحَابٍ فَاذْبَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَدَدٍ مَيِّتٍ فَأُحْيِينَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ)** (1).

فإنما قال **بِقَثِيرٍ** (2)؛ مستقبلاً وما قبله وما بعده ماضٍ، وذلك حكاية للحال التي يقع فيها إثارة الريح السحاب، واستحضار لتلك الصورة البديعية الدالّ على القدرة الباهرة... وهكذا يُفَعَّلُ بكل فعل فيه نوع تميز وخصوصية، كحال نُسْتَعْرَبُ أو تهم المخاطب أو غير ذلك.

ومن هذا الضرب قوله **تَعَوَّلِي حِينَ يُشْرِكُكَ بِاللَّهِ نَفْكََا خَرًّا مِنْ تَخَذَطْنَا طَيْرٌ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ** (3). فقال أولاً: **فَكَأَنَّوَا خَرًّا مِنْ السَّمَاءِ** بلفظ الماضي، ثم عطف عليه المستقبل وهو **فَتَخَذَطْنَا** (تَهْوِي) وإنما عدل في ذلك إلى المستقبل لاستحضار صورة خطب الطير إياه وهويّ الريح به في مكان سحيق.

ومنه كذلك قول تأبط شراً:

بأنّي قد لقيت الغول تهوي \* بشهب كالصحيفة صححان  
فأضربها بلا دهش فخرت \* صريعاً لليدين وللجران (4)

فتأبط شراً قصد في هذين البيتين أن يصور لقومه الحال التي تشجع فيها على ضرب الغول، كأنه يريهم إياها مشاهدة ماثلة أمام أعينهم للتعجب من جرأته على ذلك الهول، ولو قال: "فضربتها" عطفاً على الفعل الماضي قبله وهو "القيت" لزال الغرض البلاغي المذكور.

أما الضرب الثاني، وهو الفعل المستقبل الذي يدل على معنى مستقبل غير ماضٍ، يراد به أنه فعل مستمر الوجود لم يمض، فكقوله تعالى **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ** (5) فإنه عطف على المستقبل **(يَصُدُّونَ)** (6)، على الماضي **كَفَرُوا** (7) لأن كفرهم كان ووجد ولم يستجدوا بعده كفراً ثانياً، وصددهم عن سبيل الله متجدد على الأيام لم يمض وجوده، إنما هو مستمر يستأنف في كل حين.

ومن هذا الضرب قوله **أَتَلْعَلِّي تَبْرًا أَنْ اللّٰهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللّٰهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ** (8) فهنا عدل عن لفظ الماضي

(1) سورة فاطر، الآية: 9.

(2) سورة الروم، الآية: 48.

(3) سورة الحج، الآية: 31.

(4) علم البديع، مرجع سابق، ص: 107 - 108.

(5) سورة الحج، الآية: 25.

(6) سورة الأنفال، الآية: 47.

(7) سورة البقرة، الآية: 6.

(8) علم البديع، ط1، مرجع سابق، ص: 107 - 108.

إلى المستقبل **فَقَطَّبِ** (جِ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً) ولم يقل: "فأصبحت" عطفاً على "أَنْزَلَ" وذلك لإفادة بقاء أثر المطر زماناً بعد زمان فإنزال الماء مضى وجوده واخضرار الأرض باق لم يمض. (1)

وهذا كما تقول "أنعم على فلان فأروح وأغدو شاكرًا له" ولو قلت "فرحت وغدوت شاكرًا له" لم يقع ذلك الموقع، أنه يدل على ماضي قد كان وانقضى. وأما الإخبار بالفعل الماضي عن المستقبل فهو عكس ما تقدم ذكره، وفائدته أن الفعل الماضي إذا أخبر عن المستقبل الذي لم يوجد بعد كان ذلك أبلغ واوكد في تحقيق الفعل وإيجاده، لأن الفعل الماضي يعطي من المعنى أنه قد كان ووجد وإنما يفعل ذلك إذا كان الفعل المستقبل من الأشياء العظيمة التي يستعظم وجودها. والفرق بينه وبين الإخبار بالفعل المستقبل عن الماضي أن الغرض بذلك تبيين هيئة الفعل واستحضار صورته، ليكون السامع كأنه يشاهدها، والغرض بالإخبار بالماضي عن المستقبل هو الدلالة على إيجاد الفعل الذي لم يوجد.

فمن أمثلة الإخبار بالفعل الماضي عن المستقبل قوله تعالى **وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ** (2)، فإنه إنما قال: **فَمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ** (3) بلفظ الماضي بعد قوله: **يُنْفَخُ** وهو مستقبل، للإشعار بتحقيق الفزع، وأنه كائن لا محالة، لأن الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعاً به.

ومن أمثلة الالتفات بالإخبار بالفعل الماضي عن المستقبل أيضاً قوله **تَعْلَانِي يَبْرَأَالَمْ وَيَسْبِيؤُا الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاَهُمْ فَلَمْ نُعَادِرْ مِنْهُمُ أَحَدًا** (3)، وإنما قيل **وَيَسْبِيؤُا الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاَهُمْ** ماضياً بعد **للسَّيْرِ وَتَرَى** وهما مستقبلان للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير والبروز ليشاهدوا تلك الأحوال، كأنه قال: وحشرناهم قبل ذلك لأن الحشر هو المهم، لأن من الناس من ينكره كالفلاسفة وغيرهم، ومن أجل ذلك ذكر بلفظ الماضي.

فالعدل بالالتفات عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى - لا يكون كما رأينا - إلا كنوع من الخصوصية اقتضت ذلك. وهذا أمر لا يتوخاه في كلامه إلا المتمرس بفن القول والعارف بأسرار الفصاحة والبلاغة. (4)

المطلب التاسع: الجمع:

(1) سورة الحج، الآية: 63.

(2) سورة النمل، الآية: 87.

(3) سورة الكهف، الآية: 47.

(4) علم البديع، ط1، مرجع سابق، ص: 108 - 109.

الجمع: هو أن يُجَمع بين متعدد في حكم واحد، أو هو أن يجمع المتكلم بين شيئين فأكثر في حكم واحد، كقوله **لَعْمَالِيكُ** (وَالْبُنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)<sup>(1)</sup>، فقد الله سبحانه وتعالى **مَالُ** (وَالْبُنُونَ) في الزينة.

ومنه قول **الشَّمْتَعْسَلِي: ﴿وَ الْأَقْمَرُ بِحُسْبَانٍ \* وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾**<sup>(2)</sup>، فجمع بين الشمس والقمر في الحسبان أي الحساب الدقيق، وجميع بين النجم والشجر في السجود أي الانقياد لإرادة الله سبحانه.

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: "من أصبح آمناً في سربه، معافى في بدنه، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها" فجمع الأمن ومعافاة البدن وقوت اليوم في حكم واحد هو حيازة حيازة الدنيا وامتلاكها كما بحذافيرها أي من جميع نواصيها، ومنه شعراً قول أبي العتاهية:

إن الفراغ والشباب والجددة \* مفسدة المرء أي مفسدة

فجمع الشاعر بين الفراغ والشباب والجددة، أي الاستغناء في حكم واحد هو المفسدة أي أن الأمور تؤدي بصاحبها إلى الفساد.

المطلب العاشر: التفريق:

التفريق في اللغة ضد الاجتماع.

والتفريق في اصطلاح البديعيين هو إيقاع تباين بين أمرين من نوع في المدح وغيره. وهذا معناه أن المتكلم أو الناظم يأتي إلى شيئين من نوع واحد، فيوقع بينهما تبايناً وتفريقاً بفرق يفيد زيادة وترجيحاً فيما هو بصدده من مدح أو ذم أو نسيب أو غيره من الأغراض الأدبية.<sup>(3)</sup>

ومن أمثلة التفريق قول رشيد الدين الوطواط:

ما نوال الغمام وقت ربيع \* كنوال الأمير يوم سخاء<sup>(4)</sup>  
فنوال الأمير بدره عين \* ونوال الغمام قطرة ماء

فالشاعر هنا أوقع التباين بين النوالين أي العطائين: نوال الغمام ونوال الأمير مع أنهما من نوع واحد وهو مطلق نوال.

ومن قول الشاعر:

قاسوك بالغصن في التثني \* قياس جهل بلا انتصاف<sup>(5)</sup>  
هذاك غصن الغلاف يدعي \* وأنت غص بلا خلاف

(1) سورة الكهف، الآية: 46.

(2) سورة الرحمن، الآيات: 5 - 6.

(3) علم البديع، ط1، مرجع سابق، ص: 109 - 110.

(4) جواهر البلاغة، ط1، مرجع سابق، ص: 311.

(5) المرجع السابق، نفس الصفحة.

فالشاعر أتى هنا بشيئين من نوع واحد على التشبيه هما: غص شجر الخلاف أي الصفصاف، وقوام صاحبتة الذي يشبه الغصن في التثني، ثم أوقع التبيان والتفريق بينهما لفائدة معنوية أدهاها، وهي تفضيل قوام صاحبتة على غصن الخلاف؛ لأن الأخير تنفر النفس عنه لاسمه "الخلاف" أما الأول وهو قوام صاحبه فغصن لا خلاف ولا شك فيه وفي "خلاف" أو "خلاف" جناس تام لتشابه اللفظين نطقاً لا معنى، واتفاق حروفهما هيئة ونوعاً وعدداً وترتيباً.

ومن التفريق أيضاً قول صفي الدين الحي في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم:

فجود كفيه لم تقلع سحائبه \*\* عن العباد وجود السحب لم يدم  
ففي البيت شيئان من نوع واحد هما: جود كفي الرسول صلوات الله عليه وجود السحب وقد أوقع الشاعر تبايناً بينهما مع أنهما من نوع واحد وهو مطلق الجود.

وقد قصد الشاعر من وراء هذا التباين أو التفريق بين الشيئين من نوع واحد إلى غرض بلاغي هو ترجيح وتفضيل جود كفي الرسول صلى الله عليه وسلم على جود السحب فجود كفي الرسول صلى الله عليه وسلم على العباد متصل دائم وجود السحب منقطع غير دائم.

المطلب الحادي عشر: الجمع مع التقسيم:

الجمع مع التقسيم: هو جمع متعدد تحت حكم ثم تقسيمه، أو العكس أي تقسيم متعدد ثم جمعه تحت حكم.

فالأول وهو جمع المتعدد ثم تقسيمه كقول المتنبي من قصيدة يصف فيها موقعة دارت بين الروم والعرب بقيادة سيف الدولة بالقرب من بحيرة الحدث:

حتى أقام على أرباض خرشنه \*\* نقشى به الروم والصلبان والبيع  
للسبي ما نكحوا والقتل ما ولدوا \*\* والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا

فالمتنبي هنا جمع الروم ممثلين في نسائهم وأولادهم وأموالهم وزرعهم تحت حكم واحد هو الشفاء، ثم قسم ذلك الحكم إلى سبي وقتل ونهب وإحراق، وأرجع إلى كل قسم من هذه الأقسام ما يلائمه ويناسبه، فأرجع للسبي ما نكحوا، وللقتل ما ولدوا وللنهب ما جمعوا، وللنار ما زرعوا، أي إتلاف مزارعهم بالإحراق. ومع أن الصلبان والبيع تشترك بالعطف مع الروم في الحكم عليها بالشفاء، إلا أن التقسيم خُص بالروم وقصر عليهم وحدهم.

والثاني: هو التقسيم ثم الجمع، بعبارة أخرى هو تقديم التقسيم وتأخير الجمع في الحكم عليه، ومن أمثله قول حسان بن ثابت:

قوم إذا حاربوا ضرروا عدوهمو \*\* أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا

متعدد معنى، أي جمع الأنفس بقوله: "لا تكلم نفس" ثم فرق بينهم بأن بعضهم شقي وبعضهم سعيد، ثم قسم بأن أضاف إلى الأشقياء ما لهم من عذاب النار، وإلى السعداء ما لهم من نعيم الجنة.

ومن الجمع مع التفريق والتقسيم شعراً قول ابن شرف القيرواني:  
بمختلفي الحاجات جمع ببابه \*\* فهذا له فن وهذا له فن  
فللخامل العليا وللمعدم الغني \*\* وللمزين العتبي وللخائف الأمن  
فمختلفو الحاجات جمع بينهم في حكم واحد هو الاجتماع أمام بابه، ثم فرق بينهم في ذلك الحكم من جهة أن كلامهم له خاصية تخالف حال غيره ثم عاد فقسم بأن أضاف إلى كل واحد منهم ما يناسب حاله فللخامل العليا وللمعدم الغني وللمزين العتبي وللخائف الأمن.<sup>(1)</sup>

**المطلب الثاني عشر: تأكيد المدح بما يشبه الذم:**

أول من فطن إلى هذا النوع من البديع المعنوي عبد الله بن المعتز، فقد عده في كتاب "البديع" من محاسن الكلام، وسماه "تأكيد مدح بما يشبه الذم" وأورد له مثالين هما قول النابغة الذبياني:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم \*\* عن فلول من قراع الكتائب  
وقول النابغة الجعدي:

فتى كملت أخلاقه غير أنه \*\* جواد فما يبقى من المال باقيا  
ومن البلاغيين من يسمى هذا الفن البديعي "الاستثناء" ناظرين إلى أن حسنه المعنوي ناشئ من أثر أداة الاستثناء التي يُبنى عليها، ولكن تسمية ابن المعتز له أدل في الواقع عليه من تسميته "بالاستثناء".

**تأكيد المدح بما يشبه الذم ضربان:**

1/ أولهما، وهو في الوقت ذاته أفضلهما، أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها في صفة الذم.

كقول النابغة الذبياني السابق:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم \*\* عن فلول من قراع الكتائب  
فالنابغة هنا نفى أولاً عن ممدوحه صفة العيب، ثم عاد فأثبت لهم بالاستثناء عيباً هو أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب، وهذه ليست في الواقع صفة ذم، وإنما هي صفة مدح أثبتها الشاعر لممدوحه وأكدها بما يشبه الذم.

<sup>(1)</sup> علم البديع، ط1، مرجع سابق، ص: 111 - 115.

وتأكيد المدح في هذا الضرب من وجهين: أحدهما أن التأكيد فيه هو من جهة أنه كدعوى الشيء ببينه وبرهان، كأنه أستدل على أنه لا عيب فيه بأن ثبوت عيب لهم معلق بكون فلول السيف عيباً وهو محال.

والوجه الثاني أن الأصل في مطلق الاستثناء الاتصال بمعنى أن المستثنى يكون داخلاً في المستثنى منه وفرداً من أفرادها، وعلى هذا فإذا قيل "ولا عيب فيهم غير..." فإن السامع يتوهم بمجرد التلطف بأداة الاستثناء "غير" أو نحوها وقيل النطق بما بعدها أن ما يأتي بعدها وهو المستثنى لابد أن يكون صفة ذم فإذا ولي أداة الاستثناء صفة مدح تبدد توهم السامع بهذه المفاجأة التي لم يكن يتوقعها، تعد توهم أن الذي سيلي أداة الاستثناء لابد أن يكون صفة ذم فإذا به يفاجأ بأنها صفة مدح، ومن هنا يجيء التوكيد لما فيه من المدح على المدح، ومن الإشعار بأن المتكلم لم يجد صفة ذم يستثنىها فاضطر إلى استثناء صفة مدح وتحويل الاستثناء من متصل إلى منقطع.<sup>(2)</sup>

2/ الضرب الثاني من تأكيد المدح بما يشبه الذم يتمثل في إثبات صفة مدح لشيء تعقبها أداة استثناء يكون المستثنى بها صفة مدح أخرى له.

ومثال ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "أنا أفصح العرب بيد أني من قريش" و"بيد" بمعنى "غير" هي أداة استثناء، وأصل الاستثناء في هذا الضرب أن يكون منقطعاً، ولم يقرر متصلاً لأنه ليس هنا صفة ذم منفية عامة يمكن تقدير دخول صفة المدح فيها وإذا لم يكن تقدير الاستثناء متصلاً في هذا الضرب فلا يفيد التوكيد إلا من الوجه الثاني، وهو أن يذكر أداة الاستثناء يوهم خراج شيء مما قبلها من حيث إن الأصل في مطلق الاستثناء هو الاتصال، فإذا ذكر بعد الأداة صفة مدح أخرى جاء التوكيد.

ومن تأكيد المدح بما يشبه الذم ضرب آخر وهو أن يؤتى بمستثنى فيه معنى المدح مفعولاً لفعل فيه معنى ذم.

وفي هذا الأسلوب البديعي قد تأتي أدوات الاستثناء من مثل "إلا، وغير، وسوى" بمعنى لكن التي للاستدراك، وعندئذ يكون تأكيد المدح بما يشبه الذم فيها من الضرب الثاني الذي يتمثل في إثبات صفة مدح لشيء تعقبها أداء استثناء يكو المستثنى بها صفة مدح أخرى له.

فتجدر الإشارة هنا إلى أن تسمية هذا الفن البديعي "بتأكيد المدح بما يشبه الذم" قد نظر فيها إلى الأعم الأغلب، وإلا فقد يكون ذلك في غير المدح والذم، ويكون من محسنات الكلام كقوله تعالَى: **تَكَدُّرُوا مَا نَكَّحَ آبَاؤُكُمْ مِّنَ**

(2) علم البديع، مرجع سابق، ص: 115.



سَلِّتِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ<sup>(3)</sup>، يعنى أن أمكنكم ما قد سلف فأنكحوه فلا يحل لكم غيره وذلك غير الممكن والغرض هنا بطبيعة الحال هنا هو المبالغة في تحريم هذا النوع من الزواج وسد الطريق إلى إباحته، ويمكن تسمية ما يأتي من هذا القبيل "بتأكيد المدح بما يشبه الذم" "بتأكيد الشيء بما يشبه نقيضه"<sup>(4)</sup>.

**بعض أمثلة مما جادت به قرائح الشعراء فيه:**

فالضرب الأول من تأكيد المدح بما يشبه الذم هو كما عرفنا، أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها في صفة الذم. أمثلة ذلك:

1/ قول أبي هفان الشاعر:

ولا عيب فينا غير أن سماحنا \*\* أضربنا، والبأس من كل جانب  
فأفنى الردى أرواحنا غير ظالم \*\* وأفنى الندى أموالنا غير عائب

فقوله: إن السماح والبأس اضربهم ليس بعيب على الحقيقة، ولكنه توكيد مدح، ومما زاد المعنى ملاحظة ولطف موع ما تضمنه من احتراس بديع في قوله "غير ظالم وغير عائب".

2/ قول ابن الرومي:

ليس له عيب سوى أنه \*\* لا تقع العين على شبيهه  
فجعل انفراده في الدنيا بالحسن دون أن يكون له قرين يؤنسه عيباً، فهو بذلك يزيد توكيد حسنه.

3/ وقول حاتم الطائي:

وما تشتكى جارتى غير أنني \*\* إذا غاب عنها بعلمها لا أزورها  
سبيلغها خيرى ويرجع أهلها \*\* غليها ولم تقصر على ستورها  
والضرب الثاني من تأكيد المدح بما يشبه الذم يتمثل في إثبات صفة مدح لشيء تعقبها أداة استثناء يكون المستثنى بها صفة مدح أخرى له.<sup>(5)</sup>

ومن أمثلة ذلك:

1/ قول النابغة الجعدي:

فتى كملت أخلاقه غير أنه \*\* جواد فما يبقى من المال باقيا  
فتى كان فيه ما يسر صديقه \*\* على أن فيه ما يسيء الأعدايا

2/ وقول شاعر آخر:

(3) سورة النساء، الآية: 22.

(4) علم البديع، ط1، مرجع سابق، ص: 116.

(5) علم البديع، ط1، مرجع سابق، ص: 118 - 119.

أدافع عن أحسابهم غير أنني \*\* وحاشاي يوماً لا أمن عليهمو  
3/ وقول شاعر ثالث:

أطلب المجد دائماً غير أنني \*\* في طلابي لا تعرف اليأس نفسي  
المطلب الثالث عشر: تأكيد الذم بما يشبه المدح:  
وتأكيد الذم بما يشبه المدح بعكسه السابق ضربان:

1/ أحدهما أن يستثنى من صفة مدح منفية عن الشيء صفة ذم بتقدير  
دخولها في صفة المدح.

وذلك نحول قول القائل "فلان لا خير فيه إلا أنه يسيء إلى من أحسن إليه".

2 وثانيهما ان يثبت للشيء صفة ذم وتُعقَّب بأداة استثناء تليها صفة ذم  
أخرى له، وذلك كقول القائل "فلان فاسق إلا أنه جاهل".

والضرب الأول يفيد التأكيد من وجهين، والثاني من وجه واحد، كما  
مر من تأكيد المدح بما يشبه الذم.

#### المذهب الكلامي:

المذهب الكلامي نوع كبير من أنواع البديع المعنوي، وقد عدّه ابن  
المعتز أحد الفنون البديعية الخمسة الأساسية التي بنى عليها كتابه "البديع"  
وقال عنه: "هو مذهب سماه عمرو الجاحظ المذهب الكلامي، وهذا باب ما  
اعلم أنني وجدت في القرآن منه شيئاً، وهو ينسب إلى التكلف، وتعالى الله عن  
ذلك علواً كبيراً"<sup>(6)</sup>، ولكن ابن المعتز لم يذكر مفهوم الجاحظ لهذا الفن البديعي  
كما أنه لم يحاول هو تحديده وكل ما فعله أنه ذكر بعض أمثله له منها قول  
الفرزدق:

لكل امرئ نفسان: نفس كريمة \*\* وأخرى يعاصيها الفتى ويطيعها  
ونفسك من نفيك للندي \*\* إذا قل من أحرار من شفيحها

وعلى هذا فأغلب الظن أن مفهوم المذهب الكلامي عد الجاحظ وابن  
المعتز كما توحى به الأمثلة السابقة: هو اصطناع مذهب المتكلمين العقلي في  
الجدل والاستدلال وإيراد الحجج والتماس العلل، وذلك بأن يأتي البليغ على  
صحة دعواه بحجة قاطعة أياً كان نوعها.

وقد عرض البلاغيون بعد ابن المعتز المذهب الكلامي وعدوه من فنون  
البديع ومن هؤلاء أبو هلال العسكري وابن رشيق القيرواني.

(6) علم البديع، ط1، مرجع سابق، ص: 118 - 119.

وإذا ما انتهينا إلى العصور المتأخرة فإننا نجد الخطيب القزويني  
739 هـ يعرف المذهب الكلامي بقوله: "هو إيراد حجة للمطلوب على طريقة  
أهل الكلام نكوان فيهم ما آلهة إلا الله لفسدتا".<sup>(7)</sup>

والقزويني يقصد "بطريقة أهل الكلام" أن تكون الحجة بعد تسميم  
المقدمات مستلزماً للمطلوب ففي قوله تَعْلَى كَبَانَ فِيهِمْ مَا آلهة إِلَّا الله  
لَفَسَدَتَا) للازم وهو فساد السماوات والأرض باطل لأن المراد به خروجهما  
عن النظام الذي هما عليه فكذا الملزوم وهو تعدد الآلهة باطل.

المطلب الرابع عشر: اللف والنشر:

ويسميه بعض البديعيين "الطي والنشر" هو ذكر متعدد على التفصيل  
أو الإجمال ثم ذكر واحد من غير تعيين ثقة بأن السامع يردده إليه لعلمه بذلك  
بالقرائن اللفظية والمعنوية.

هذا يعني أن تذكر شيئين فصاعداً إما تفصيلاً فتنص على كل واحد  
منهما وإما إجمالاً فتأتي بلفظ واحد يشمل على متعدد وتفوض إلى العقل رد  
كل واحد إلى ما يليق به من غير حاجة إلى أن تنص أنت على ذلك.

أقسامه:

واللف والنشر كما يفهم من التعريف السابق قسمان:

الأول: ذكر المتعدد على التفصيل وهو ضربان:

1/ أحدهما يكون النشر على ترتيب اللف بأن يكو الأول من المتعدد في  
النشر للأول من المتعدد في اللف، والثاني للثاني وهكذا إلى الآخر.  
هذا الضرب هو الأكثر في اللف والنشر والأشهر.

شواهد هذا الضرب:

1/ بين اثنين قولوا تَعَالَى رَدْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِشِدْكَنُوا  
فِيهِ وَابْتَدَعُوا مِنْ قَضَائِهِ<sup>(8)</sup>، فالسكون راجع إلى الليل، والابتغاء من فضل الله  
راجع إلى النهار على الترتيب.<sup>(9)</sup>

قول الشاعر:

ألست أنت الذي من ورد نعمته \* \* \* وورد راحته أجنبي وأغترف؟

شواهد بين ثلاثة وثلاثة، قول ابن حيوس:

(7) سورة الأنبياء، الآية: 22.

(8) سورة القصص، الآية: 73.

(9) جواهر البلاغة، ط1، مرجع سابق.

ومرطق يغنى النديم بوجهه \*\* عن كأسه الملقى وعن إبريقه  
 فعل المدام ولونها ومزاقها \*\* من مقلتيه ووجنتيه وريقه  
 ومن شواهد ذكر المتعدد على التفصيل والترتيب بين أربعة وأربعة  
 قول الشاعر الشاب الظريف شمس الدين بن العفيف:  
 رأى جسدي والدمع والقلب والحشا \*\* فأفضني وأفنى واستمال وتيما  
 2/ الضرب الثاني من اللف والنشر المفصل هو ما يجئ على غير  
 ترتيب اللف ومن هذا الضرب ما يكون معكوس الترتيب كقوله ابن حيوس:  
 كيف أسلو وأنت حقف وغصن \*\* غزال لحظاً وقداً وردفاً  
 فاللحظ للغزال، والقدر للغصن، والردف للحقف.

القسم الثاني من اللف والنشر ما يكون بذكر المتعدد فيه على الإجمال  
 نحو قوله تلولي بن يذخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى<sup>(10)</sup>، فإن  
 الضمير (قائلوا) لأهل الكتاب من اليهود والنصارى فذكر الفريقان على وجه  
 الإجمال بالضمير العائد إليهما ثم ذكر ما لكل منهما أي قالت اليهود لن يدخل  
 الجنة إلا من كان هوداً وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى.

ومن بديع اللف والنشر وغريبه ن يذكر متعددان أو أكثر ثم يذكر في  
 نشر واحد ما يكون لكل من أفراد كل من المتعددين كقول القائل "الغني والفقير  
 والعلم والجهل بها تحيا الشعوب وبها تموت".  
 "فالغني والفقير" لف أول "والعلم والجهل" لف ثان.

ولعلنا بعد كل ما تقدم ندرك معنى تسمية هذا النوع من البديع المعنوي  
 "باللف والنشر" فوجه تسمية المعنى المتعدد الأول على وجه التفصيل أو  
 الإجمال باللف أنه انطوى فيه حكمه لأنه اشتمل عليه من غير تصريح به لما  
 صرح به في الثاني كان كأنه نشر لما كان مطوياً فلذلك سمي نشرًا.

المطلب الخامس عشر: مراعاة النظير:

هو الجمع بين أمرين أو أمر متناسبه لا على وجه التضاد، وذلك إما  
 بين اثنين وإما بين أكثر.<sup>(11)</sup>

ويسميه أصحاب البديع التناسب والائتلاف والتوفيق والمؤاخاة أيضاً  
 وهو في الإصلاح أن يجمع الناظم أو الناشر أمراً وما يناسبه لا بالتضاد  
 لتخرج المطابقة سواء كانت المناسبة لفظاً لمعنى أو لفظاً أو معنى لمعنى، إذاً

<sup>(10)</sup> سورة البقرة، الآية: 111.

<sup>(11)</sup> علم البديع، ط1، مرجع سابق، ص: 125.

المقصود جمع شيء إلى ما يناسبه من نوعه أو ما يلائمه من أي وجه من الوجوه.

ومن أمثلة ذلك قول البحثري في وصف الإبل الأنضاء التي أنحلها السير:  
كالقسي المعطفات بل الأسه \* \* م مبريه بل الأوتار  
فإنه لما شبه الإبل بالقسي فأراد أن يكرر التشبيه كان يمكنه أن يشبهها  
مثلاً بالعراجين أو نون الخط لأن المعنى واحد في الانحناء والرقعة، ولكنه  
قصد المناسبة بين الأسهم والأوتار لما تقدم ذكر القسي.

من شواهد مراعاة النظير التي يجمع فيها بين الأمر وما يناسبه لا على  
وجه التضاد قول الشاعر في وصف فرس:  
من جئنا ناضر فره \* \* وأذنه من ورق الأس  
فالمناسبة هنا بين الجئنا والأس والنضارة.

المطلب السادس عشر: إيهام التناسب:

الإيهام هو أن يؤتى بكلام يحتمل معنيين متضادين على السواء كهجاء  
ومديح يبلغ القائل غرضه بما لا يمك عليه.<sup>(12)</sup>

ويقصد به الجمع بين معنيين غير متناسبين بلفظين يكون لهما معنيان  
وإن لم يكون مقصودين ومن أجل ذلك يخلق بمراعاة التنظير.

ومثال إيهام التناسب هذا قوله تعلقاً بـ (س) و (القمر) يدسبان \*  
و (النجم) و (الشجر) يسجدان.<sup>(13)</sup>

الشَّمْسُ بِلُ وِ الْقَمَرُ بِدَسْبَانِ " أي بحساب معلوم وتقدير محكم دقيق.  
و (النجم) و (الشجر) يسجدان " النجم: النبات الذي ينجم من الأرض لا ساق له  
كالبقول والشجر الذي له ساق وسجودهما انقيادهما لله فيما خلق له فالنجم  
بمعنى النبات وإن لم يكن مناسباً للشمس والقمر فقد يكون بمعنى الكوكب وهو  
مناسب لهما ولهذا سُمِّي إيهام التناسب.<sup>(14)</sup>

(12) جواهر البلاغة، ط1، مرجع سابق، ص: 331.

(13) سورة الرحمن، الآيات: 5 - 6.

(14) علم البديع، ط1، مرجع سابق، ص: 126 - 127.



## دراسة تطبيقية في شعر البحتري

أولاً: الطباق:

- 1/ ما تجلى لظلمة الليل إلا  
أطفأ نجم المضيئة نوره  
المعنى: أن في البيت تشبيه الممدوح في طلوعه في الليل يطفئ نور  
النجوم دلالة على عظمته.  
والطباق في كلمتين (ظلمة - نوره).  
2/ ذكررتنيهم الخطوب التوالي  
ولقد تذكر الخطوب وتنسي<sup>(1)</sup>  
التوالي: المتتالية.  
الطباق جاء في كلمة (تذكر - تنسي) والرباط جاء لتقوية المعنى.  
3/ لو تراه علمت أن الليالي  
جعلت فيه مأتماً بعد عرس<sup>(2)</sup>  
هنا الشاعر يصف في حاله إيوان كسرى (كناية عن الحزن والألم).  
الرباط جاء في قوله (مأتماً بعد عرس) وجاء أيضاً لتقوية المعنى.  
4/ والمنايا موائل وأنو شروان  
يزجى الصفوف تحت الدرفس  
موائل: قائمان تنتظر العمل وقت الحرب.  
يزجى: يسوق - الدرفس: هي راية الفرس وهو رمز تحرير بلادهم  
على يد بطلهم الأسطوري (أنو شروان) ومعناها راية الحداد وكانت محلاة  
بالجواهر الكريمة.  
الرباط في كلمة (موائل - يزجى) أيضاً جاء لتقوية المعنى.  
5/ قال يمدح محمد بن عبد الله بن طاهر:  
ملك المشارق والمغارب عنوة  
يدعى له بمنابر كرسى<sup>(3)</sup>  
إن الله سبحانه وتعالى ملك المشارق يدعو له بمنابر وسع كرسية  
السموات والأرض.

(1) ديوان البحتري، ج1، ص: 22.

(2) ديوان البحتري، ج1، ص: 19.

(3) ديوان البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى التنوخي الطائي، تحقيق: حسن كامل الصدقي، دار  
الكتاب العربي، بيروت، 1426هـ، ج2، ص: 642 - 656.

الطباق في كلمتين (المشارق – المغارب).

6/ قال يمدح أبا الصغر إسماعيل بن بلبل:  
ترك السودان للابسية وبيض

وتضامن الستين عنه ما مضى<sup>(1)</sup>

أراد الشاعر لبياض بدلاً من السواد وخلع من العينين عنه ما نزع.

الطباق في كلمتين (البياض – السواد).

7/ قال يمدح المتوكل:

أقترى راضياً وقد بت غضبان

وأسمى مولى وأصبح عبدا

المعنى أن الشاعر يمدح المتوكل ويصفه إن كان غاضباً في المساء  
ومستيقظ من نوع راضياً عنه وفي المساء يكون له سداً وفي المساء يكون له  
سداً وفي الصباح يكون له عبداً.

الطباق في الكلمتين (راضياً – غضبان).

8/ وقال يمدح أبا أيوب:

جده ولا جود وطالب بقيه

في الباخلين وبقيه ما تجود<sup>(2)</sup>

يمدح الشاعر يقول له جودك والموجود والقدرة والكريم الذي تطلب  
منه يعطي في البخل لا توجد صفة الجود والكرم.

الطباق في كلمتين (الجود – البخل).

9/ وقال يمدح الفتح بن خاقان:

مضى مثل ما يمضي السنان وأشرقت

به بسطة زادت على بسطه الرمح<sup>(3)</sup>

أنه خاطف كالسنان قوى كالرمح.

الطباق في كلمتين (مضى – ما يمضي).

10/ قال يهجو وهب بن سليمان:

لا تمازح في غير وقت مزاح

وأخذ لوقت الصباح<sup>(4)</sup>

(1) ديوان البحتري، ج1، ص: 700.

(2) ديوان البحتري، ج1، ص: 702.

(3) ديوان البحتري، ج1، ص: 15.

(4) ديوان البحتري، ج1، ص: 241.



المزح له أوقات لا تمزح في أي وقت وأنت الوقت الذي تمزح فيه اتخذ  
له في اله من مزحل.

الطباق في كملتين (مزح – لا يمزح).

ثانياً: المقابلة:

1/ إذا حاربوا أذلوا عزيزاً

إذا سلموا أعزوا ذليلاً

المقابلة بين شطري البيت. بين (عزيزاً – ذليلاً)، (حاربوا – سالموا)،  
(أذلوا – أعزوا).

2/ حضرت رحلي الهموم فوجهت

إلى أبيض المدائن عنسي

حضرت رحلي الهموم: جعلته حاضراً، وأعدته للرحيل.

أبيض المدائن: القصر الأبيض لكسري.

المدائن: عاصمة الأكاسرة قرب بغداد وفيها الإيوان، وسميت بالجمع  
لأنها سبع مدن قائمة على ضفة دجلة.

عنسي: ناقتي.

3/ وأمة كان الجور يسخطها

فأصبح حسن العدل يرضيها

المقابلة بين شطري البيت.

(يسخطها – يرضيها)، (الجور – حسن العدل).

4/ قال الشاعر يصف بركة المتوكل:

فحاجب الشمس أحياناً يضحكها

وريق الغيث أحياناً يباكها

ريق الغيث: أوله وأفضله: المقصود بـ(يباكها) يهبط عليها فترتد منها  
قطرات صعداً فيها، وكذلك يضاحكها حاجب الشمس باللمع الذي يبدو على  
صفحة البركة مقابلاً نور الشمس. (يضاحكها – يباكها).

ثالثاً: المبالغة:

1/ ألمع برق سرى أم ضوء مصباح

أم ابتسامتها بالمنظر الضاحي

الضاحي: الظاهر البارز للشمس.

2/ نلوان مشتاقاً تكلف فوق ما

في وسعه لسعى إليك المنبر  
هنا جعل الشاعر المنبر هو الذي يسعى إلى الممدوح وهذه المبالغة من  
الغلو المقبول.

### المبالغة في مقام المديح:

3/ متمكن فوق النجوم موثّل  
شرف خصصت به ومجد باذخ  
عضم الجبال لأقبلت تنتزل  
اخضر تهيم حججاً لو اجتلبت بها  
فمجد ممدوحه يفوق علو النجوم والجبال الممتنعة تنتزل خضوعاً له.

4/ خليفة كان البحر فيهن يغرق  
إذا قرب الخصم بانغيم ال<sup>(1)</sup>

يوازن الشاعر هنا بين فعل الممدوح وفعل البحر فعطاء الممدوح  
كعطاء البحر بل إن البحر يغرق في هذه العطايا وفي هذا إعلاء من قيمة  
العطايا ومبالغة في فعل العطاء.

5/ يقول البحتري في وصف السيف:  
بطل ومصقول وإن لم يصقل  
ماجن وإن تمضه يد فارس  
من خده والدرع ليس بمعقل  
يغشى الوغى فالترس يجنه<sup>(2)</sup>

له أيضاً:

من رامها فكأنها ما تطلب  
في غاية طلبت فقصر دونها  
عظماً ويوهب فيه ما لا يوهب  
كن ما يرجى منه ما لا يرتجى

إن هاتين الصورتين تقومان على المبالغة لكن الملاحظ أن هذه المبالغة  
شكالية تظهر في الصفة دون أن يكون هالك قياس بين الطرفين والمقصود من  
هاتين الصورتين المبالغة في بيان مضاء السيف وصقله في الشاهد الأول وبُعد  
الغاية وكرم الممدوح في الشاهد الثاني والشاهدان كما يبدو لنا يقدمان هذه  
الأفكار في قالب تقديري لا تصويري يستخدم فيه النفي استخداماً شكلياً لأداء  
معنى المبالغة وحسب.

(1) ديوان البحتري، ج1، ص: 33.

(2) ديوان البحتري، ج1، ص: 35.

6/ يقول:

كأنهم حلم من الأحلام \*\* أضحى بغاوا قربه وجزبه<sup>(1)</sup>

7/ يقول:

ملت العزالي ذو زباب وهذب  
غرائب أخلاق هي الروض جاذه  
لا خلاق أصفار من المجد  
وقد زادهما اقراط حسن جوارها<sup>(2)</sup>

إن الباحثري يعمد في الشاهدين إلى المبالغة في صفة حسن  
أخلاق ممدوحه وذلك عن طريق قياسها إلى صورة انعدامها في  
سواه، وفي الشاهد الأول أيضاً يفقد من صورته العدم حلم من الأحلام  
للمبالغة في صورته فناء بغا وجماعته التضاد والفكر واضحان في  
تركيب هاتين الصورتين عند الباحثري.

8/ يقول:

لنعد ما بين قاصيها ودانيها  
لا يبلغ المسك المحصور غايتها  
المبالغة بصفتي العمق والاتساع اللتين تتصف بهما البركة في إطار  
الواقعية الحرفية من المبالغة.

رابعاً: التورية:

يقول الشاعر:

1/ ووراء تسرية الوشاح مليئة

بالحسن تملح في القلوب وتعزى  
الشاهد في تملح فإنه يحتمل أن يكون من الملوحة التي هي ضد العذوبة  
وهذا هو المعنى القريب المورى به وغير المراد يحتمل أن يكون من الملاحمة  
التي هي عبارة ع الحسن وهذا المعنى البعيد المورى عنه وهو المراد وقد  
تقوم من لوازمه على البيت مليه بالحسن.

2/ مذهبتم من جرى في خالها

ولم أصل منه إلى اللثم<sup>(3)</sup>

قلت قفوا واستمعوا ما جرى خالي قد هام به عمي.

(1) ديوان الباحثري، ج1، ص: 39.

(2) ديوان الباحثري، ج1، ص: 18.

(3) ديوان الباحثري، ج1، ص: 37.

فلفظة التورية (خالها) فإنها تحتمل خال النسب وهو المعنى القريب المورى به وقد ذكر لازمه بعد لفظ التورية على جهة الترشيح وهو (العم) تحتمل أن تكون الشامة السوداء التي تظهر غالباً في الوجه وتكون علامة حسن وهذا هو المعنى البعيد الخفي المورى عنه.

خامساً: المشاكلة:

يقول البحتري:

1/ وتماسكت حين زعزعي الدهر

التماساً منه لتعسي ونكسي<sup>(1)</sup>

البحثري متألق في إحياء الموسيقى الخارجية في شعره عن طريق المشاكلة بين الألفاظ والمعاني والتوافق الصوتي بين الحروف.

(لتعسي - نكسي).

2/ أتسلى عن الحظوظ وأسى

لمحل من آل ساسان درس

المشاكلة (أسى - ساسان) لإعطاء الجرس الموسيقي وإبراز المعنى.

3/ وهم خافضون في ظل عال

مشرف يحسر العيون ويخسى<sup>(2)</sup>

المشاكلة (يحسر ويخسى) لتقوية المعنى وإبرازه.

سادساً: المزوجة:

قول الشاعر يهجو سعاد:

إذا ما نهى الناهي فلج بن الهوى

أصاغت إلى الواشي فلج بها الهجر

أي: إذا نهى الناهي عن حبها فلج أي "تمادى" بن الهوى أصاغت هي الواشي أي "استمعت له" فلج بها الهجر.

فقد زواج بين نهى الناهي له عن حبها في كلامه شرطاً وبين اصاغت للواشي به الواقع في كلامه جزاء من أن رتب عليها لجاج لكن اللجاج الأول هو لجاج هواه بها واللجاج الثاني هو لجاج هجرها وهذا فن بديع.

(1) ديوان البحتري، ج1، ص: 18.

(2) ديوان البحتري، ج1، ص: 18.

2/ قول البحتري في قصيدة يمدح المتوك لعلّى الله وفيها يصف فرسان  
حرب ثائرة للأخذ بالثأر من ذوى قرباه.

إذا احتربت يوماً ففاضت دماؤها

تذكرت القربى ففاضت دموعها<sup>(1)</sup>

احتربت: أي حارب بعضها بعضاً.

فقد زواج في الاحتراب الواقع في كلامه شرطاً وبين تذكر القربى  
الواقع في كلامه جزاء في أن رتب على كل منهما فيضاً لكن الفيض المرتب  
على الاحتراب هو فيض "دماء" أما الفيض المرتب على تذكر القربى هو  
فيض الدموع.

سابعاً: التقسيم:

يقول:

1/ رَيْنَ الْمُعْوَرَيْنِ أَخَلَ بِي

رَلِي وَاوَدَنِي تَمَكُّنُ يَأْسِي

البيت هنا مقسم لستة وكل تفعيله منه تمثل تفعيلات بحر الكامل.

2/ يَ يَوْمَ الْخَمِيسِ وَقَدْ مَضَى

دِ مَوْ عِدِكَ الْخَمِيسُ الْخَامِسُ

البيت هنا مقسم تفعيلاته وكل تفعيله من تفعيلاته تمثل تفعيله  
من بحر الكامل.

3/ قَفَ مَوْقًا أَوْ مَسْعَدًا أَوْ حَزِينًا

مَعِينًا أَوْ عَاذِرًا أَوْ عَدُولًا

البيت هنا مقسم مقطع إلى ستة مقاطع كل واحد منها يمثل تفعيله من  
تفعيلات بحر الخفيف.

4/ كَ السَّلَامَةَ وَالسَّلَامُ قَايَنِي

وَ هُنَّ عَلَيَّ عُلَاكُ حَبَائِسُ

ي دُمُوعِي حَرِينِ دَمُكَ جَامِدٌ

قَلْبِي حَرِينِ قَلْبُكَ قَاسٍ

البيت مقسم ولكل تفعيله منه تمثل تفعيلات بحر الكامل.

5/ نِي غُفْلُ الرَّجَالِ بُنَى عَلَيَّ

دِي، بَنَيْتَ عَلَيَّ ذُرِّي وَأَسَاسُ<sup>(2)</sup>

(1) ديوان البحتري، ج1، ص: 15.

(2) ديوان البحتري، ج1، ص: 10 - 11.

البيت مقسم وكل تفعيله من تمثل تفعيلات بحر الكامل.

ثامناً: اللف والنشر:

قول الشاعر يمدح بها أبا صقر ويتغزل في أولها:

ولما التقينا والنقا موعد لنا

تعجب رائبي الدر حسن ولاقطه

فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها

ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه<sup>(1)</sup>

هنا جمع الشاعر بين كلامها وأسنانها في أنهما يشابهان الدر وفرق بينهما بأن لؤلؤ أسنانها تجلوه عند ابتسامها، أما لؤلؤ كلامها فتتابع إسقاطه من فمها يستلقطه سمع من تحدثه.

تاسعاً: مراعاة النظير:

1/ قول الشاعر يصف الإبل التي هاجرت:

يترقرقن كالسراب وقد خضن

غماراً من السراب الجاري

كالقسي المعطفات بالأسهم

مبriية بل الأوتار

هنا الشاعر جمع في تشبيهاته أشياء بينهما تناسب وتلاؤم إذا "القسي" هي جمع القوس تناسب الأسهم وتناسب الأوتار إذ كلها آلة واحد.

2/ وقال في وصت الذئب:

له ذئب مثل الرشاء يجره

ومتن كمتن القوس أعوج منأد<sup>(2)</sup>

الرشاء: الحبل، المتن: الظهر، منأد: معوج.

هنا جمع الشاعر بين أشياء فيها تناسب.

3/ خواه الطوى حتى استمر مريده

فما فيه إلا العظم والروح والجلد

الطوى: الجوع. استمد مريده: اعتاده وألفه.

هنا أيضاً جمع الشاعر بين أشياء بينها تناسب (فالرو والعظم والجلد) كلها للكائنات الحية.

عاشراً: الأرصاد:

(1) ديوان البحرى، ج1، ص: 19.

(2) البحرى بين نقاد عصره، صالح حسن الطيب، ص: 131.

- 1/ بكيكما دمعاً ولو أني على  
در الجوى أبكى أبكيكما دماً  
الجوى: شدة الوجد من عشق أي حزن.  
فلو توقف المتكلم عند (بكيكما) لقال السامع (دماً).  
2/ أحلت دمي من غير جرم وحرمت  
بلا سبب يوم اللقاء كلامي  
فليس الذي حالته بمحلل  
وليس الذي حرمه بحرام  
فلو سكت المتكلم عند كلمة (حرمة) لقال السامع (بحرام) لأن السوابق  
تدل على كلمة الختام.  
3/ دنو إليّ بريقه وبراحه  
بعلاًني بالكأس بعد الكأس  
أيضاً إذا توقف المتكلم عند كلمة (بعد) لقال السامع (الكأس) لأن القافية  
أصبحت معروفة.  
4/ هيف الجوانح منه ماض جوانحي  
ونعاس مقلتيه اطار نعاسي

#### الحادي عشر: الاستخدام:

- قول الشاعر في قصيدة يمدح فيها (ابن نبيخت) كما في ديوانه:  
فسقى الفضا والنازلية وإن هم  
شبو بين جوانح وقلوب<sup>(1)</sup>  
أراد الشاعر بلفظ (الفضا) هنا شيين أولاً المكان وأعاد الضمير عليه  
بعبارة (النازلية) على هذا المعنى وأعاد الضمير عليه بعد ذلك على معنى  
شجر الفضا وحطبه الصلب ذي النار الحارة إذا اشتعل فقال (شبوه) أي قدوه.

<sup>(1)</sup> ديوان البحري، ج1، ص: 44.

## الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه نجوم الهدى في غياهب الظلمات الذي وفقنا لإكمال هذا البحث الذي تناولنا فيه من أشهر الشعراء العباسيين وهو البحتري وذلك من خلال دراسة المحسنات المعنوية في شعره.

النتائج:

- 1/ أمتاز البحتري بأسلوب فريد ميزه عن الشعراء.
- 2/ أسرف البحتري في الأعراض الشعرية.
- 3/ شارك بشعره في مساعدة تولى المتوكل الخلافة العباسية.
- 4/ شعره يخلو من التكلف والتصنع.

التوصيات:

- 1/ الإكثار من الأعراض الشعرية خاصة المدح.
- 2/ يجب الاهتمام بالشعر والشعراء وتوفير الإمكانيات لهم ولكل شاعر بيئة محيطة به.
- 3/ يتبع معلم اللغة العربية طريقة جيدة للشرح الوافي وتفصيل الأعراض الشعرية تفصيلاً دقيقاً وبيان الألوان البلاغية حتى تكتمل الصورة,



## المراجع والمصادر:

- 1/ ابن إسماعيل بن كثير القرشي، البداية والنهاية، ط1، دار الفكر.
- 2/ ابن الحسن الجذري، الكامل في التاريخ، ط1، دار الكتاب العربي.
- 3/ ابن محمد ابن خلدون ولي الدين الخضرمي الإشبيلي، تاريخ بن خلدون، ط1، دار الفكر، بيروت.
- 4/ ابن المعتز، طبقات الشعراء، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ط4، دار المعارف، القاهرة.
- 5/ ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وأدبه، دار المعرفة، ط1، بيروت.
- 6/ ابن فلكان، وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، ج.6.
- 7/ الحسن بن بشير الأمدي، الموازنة بين الطائيين، المكتبة العالمية، بيروت.
- 8/ أبو هلال العسكري، ديوان المتنبي، ج1، مكتبة القدس، القاهرة.
- 9/ أبو عبادة الوليد بن عبيده بن يحيى الطائي، ديوان البحري، تحقيق: حسن كامل الصدفي، ج2، دار الكتاب العربي، بيروت.
- 10/ أبو بكر العولي، أخبار البحري، تحقيق: صالح الأنشد، مطبوعات المجمع العربي، دمشق.
- 11/ الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب، ط2، بيروت.
- 12/ الأصفهاني، الأغاني، تحقيق: لجنة من الأدباء، دار الثقافة، بيروت.
- 13/ السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، أبناء شريف الإنصاري، لبنان.
- 14/ الشريف الرضي، طيف الخيال، تحقيق: محمد حسن، ط1.
- 15/ شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، ط3، بيروت.
- 16/ شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، بيروت.
- 17/ عبد العزيز عتيق، علم البديع، ط1، الأفق العربية، القاهرة.
- 18/ محي الدين أبو الطاهر محمد بن أبادي، القاموس، المحيط، ط8، بيروت، لبنان.